روائع المسرح العالى

٣٨

علماء الطبيعة

تأليف فريدرش دورنمات

ترجمة وتقديم الدكتور عبد الرحمن بدوى

مراجعة الدكتور محمد محمد القصاص

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

روائع المسرح العالمى

٣٨

علماء الطبيعة

تأليف فريدرش دورنمات

ترجمة وتقديم الدكتور عبد الرحمن بدوى

مراجعة الدكتور محمد محمد القصاص

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

فريدرش دورنمات

Friedrich Dürrenmatt

علماء الطبيعة

Die Physiker

ملهاة فى فصلين

الاهداء الى :

تريزا جيزه

مقدمة

فريدرش دورنمات

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوى

شاب فى الثانية والأربعين ، ومع ذلك فقد أصبح اليوم فى مركز الصدارة بين كتاب المسرح فى العالم كله ، خصوصا فى الكوميديا حتى صار لا يضارع فى السخرية والتهكم ولا يقاس الا بفحول هذا الفن على مدى التاريخ : أرسطوفانس وپلوتس وموليير وپيرندلو وچيرودو ، لأنه يؤمن بأن الكوميديا هى اللون المسرحى الوحيد الممكن اليوم ، وعنها تنبثق الطراغوديا كما هى عند شيكسپير ، وذلك لأن الطراغوديا بالمعنى الذى قصده شلر تفترض عالما يمكن الاحاطة به ، وهذا أمر لم يعد متحققا الآن فى العصر الذرى الذى فتح لنا عوالم لا يمكن الاحاطة بها . ثم انه يرى أن العالم غير معقول ، لكن عدم المعقولية لا يستوجب اليأس « لأنه ولو أن الفرص لتخليص العالم ضئيلة فاننا نستطيع مع ذلك احتماله » بما فيه من عدم المعقولية . ولهذا كان الجانب الأكبر من انتاجه المسرحى هزليات وسخريات

اختلفت شكلا وأسلوبا من الفن الغنائى الى فن الكباريهات ، لكنه دائما لاذع السخرية ، بارع الفكاهة ، ذو تهكم يعض عضا . ويستمد مادته من أحدث الأحداث العلمية والسياسية ، لكنه يصوغها فى قالب من النقد القارص ذى النزعة الأخلاقية .

* * *

ولد فريدرش دورنمـــــات Friedrich Dürrenmatt فى الخامس من يناير سنة ١٩٢١ بقرية كونولفنجن Konolfingen احدى القرى القريبة من برن Bern عاصمة الاتحاد السويسرى، حيث كان أبوه يعمل قسيسا پروتستنتيا . وكان جده ألرش دورنمات عضوا بالمجلس الوطنى السويسرى وكاتبا ساخرا .

وأمضى فريدرش دراســته الابتدائيــة فى كونولفنجن ، ودراسته الثانوية فىمدرسة جروسهيكشتتن Grosshöchstetten القريبة من قريته . وارتحلت الأسرة الى برن فى سنة ١٩٣٥ حيث عين والده قسيسا فى كنيسة سالم ، فقضى فريدرش ســنتين ونصفا فى الثانوية الحرة وانتقل منها الى مدرســة همبولت الثانوية حيث حصل منها على شهادة الثانوية (البكالوريا) . وفى سنة ١٩٤١ أمضى فصلا دراسيا فى زيورخ عاد بعدها الى برن ليدرس الفلسفة والأدب والعلوم الطبيعية . وراح يقرأ كيركجور — أبا الوجودية — وأرسطوفانس وشعراء النزعة

التعبيرية الألمان وخصوصا جورج تراكل (١٨٨٧—١٩١٤) وجورج هايم (١٨٨٧—١٩١٢) اللذين لقيا مصرعهما فى ميعة الصبا فى ظروف أليمة .

وبدأ يكتب مسرحيات ويرسم ؛ وفى الفترة من ١٩٤٦ حتى ١٩٤٨ عاش فى بازل وحاول أن يعيش بقلمه كاتبا حرا ، وهنا ألف أول مسرحية مثلت له وهى « مكتوب » . وفى سنة ١٩٤٧ تزوج الممثلة لوتى جيسلر ، وفى ١٩ أبريل من هذه السنة مثلت له رواية « مكتوب » لأول مرة فى مسرح زيورخ Schauspielhaus . وفى الفترة من ١٩٤٨ حتى ١٩٥٢ عاش فى قرية على بحيرة بيل تدعى ليجرتس ، وابتداء من سنة ١٩٥٢ قطن منزلا فى نيوشاتل يطل على بحيرتها الجميلة . وفى سنة ١٩٥٩ حصل على جائزة شلر التى منحتها مدينة مانهيم (فى ألمانيا) .

وانتاج دورنمات موزع بين (١) المسرحيات، و(٢)الأوپرات و (٣) الاذاعيات (الروايات المذاعة أو المعدة للاذاعة) و (٤) القصص و (٥) المقالات .

أما النوع الأول وهو المسرحيات فنذكر من بينه :

١ — « مكتوب » (١٩٤٦) .

٢ — « الأعمى » (١٩٤٧) .

٣ — « رومولس الكبير » (سنة ١٩٤٨) .

٤ — زواج السيد مسيسبى » (سنة ١٩٥٠) .

٥ — « وجاء الملاك الى بابل » (سنة ١٩٥٣) .

٦ — « زيارة السيدة العجوز » (سنة ١٩٥٥) .

٧ — « علماء الطبيعة » (سنة ١٩٦٢) .

أما الأوبرات فليس له منها غير أوبرا « فرانك الخامس » (سنة ١٩٥٨) .

والنوع الثانى وهو الاذاعيات نذكر منه :

١ — « النزاع حول ظل الحمار » (سنة ١٩٥١) .

٢ — « الشبيه » (١٩٤٦) .

٣ — « هركول واسطبل أوجياس » (سنة ١٩٥٤) .

٤ — « مغامرة فيجا » (سنة ١٩٥٤) .

٥ — «ساعة فى مساء يوم من أواخر الخريف» (سنة ١٩٥٦).

٦ — « استراتتسكى والبطل القومى » (سنة ١٩٥٢) .

والقصص والحكايات نذكر منها :

١ — « الوعد » (سنة ١٩٥٧) .

٢ — « الاتهام » (سنة ١٩٥١) .

٣ — « المدينة » (مجموعة أقاصيص) (سنة ١٩٤٦) .

٤ — « العطل » (سنة ١٩٥٦) .

٥ — « يونانى يبحث عن يونانية » (سنة ١٩٥٥) .

وأخيرا نذكر من بين مقالاته ومحاضراته مقالة ممتازة عن « مشاكل المسرح » ألقاها فى سنة ١٩٥٥ ، وفيها عرض نظريته فى المسرح الكوميدى ، ومحاضرة ألقاها عن فريدرش شلر فى سنة ١٩٥٩ بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية الثانية لميلاده .

فلنأخذ فى الحديث عن مسرحه أولا .

١ - « مكتوب »

مثلت هذه المسرحية فى ١٩ أبريل سنة ١٩٤٧ في مسرح زيورخ ، وأخرجها كورت هورڤتس . فلقيت من جمهور المشاهدين عاصفة من الاحتجاج والاعجاب معا حتى احتاج الأمر الى تدخل الشرطة لاخراج المصفرين ! ومع ذلك ظل التصفير ، ولولا ثبات جأش الممثلين وبرودهم لما تم التمثيل ، لكن التمثيل استمر بفضلهم حتى النهاية ، وانقلبت الآية عند نهاية التمثيل فحل التصفيق الصاخب محل الصفير .

وموضوع المسرحية مستمد من الفرقة الدينيـة المعروفة باسم « مجددى التعميد » وهي فرقة انتشرت فى أوربا فى القرن السادس عشر وكانت تدعو الى عدم تعميد الأطفال ، والى عدم المقاومة ، والى رفض ولاية القضاء ، مستندين فى

ذلك كله الى آيات فى « الأناجيل » وسلوك المسيحيين الأوائل. فهم يرون أن التعميد لا قيمة له الا بالنسبة الى المؤمنين بكامل فكرهم وارادتهم ، وبالتالى ينبغى ألا يتلقاه الا العقلاء البالغون المؤمنون عن عقيــدة وفهم وارادة واعية ، ولهــذا فلا قيمة للتعميــد الذى يتلقــاه الطفـــل لأنه لم يع شـــيئا من الايمان بعد . وقد حاربت الكاثوليكية والبروتستنتية هــذه الفرقة . ومسرحية دورنمات مستمدة من حوادث أصحاب هذه الفرقة أثناء سيطرتها الروحية فى مدينة مونستر بألمانيا (فى مقاطعة وستفاليا غربى ألمانيا) وما جرى لها من حوادث تحت زعامة داعية باحث عن القمر خيالى طموح الى السلطان مجنون أعلن نفسه ملكا للدولة الدينية الجـديدة وألقى بالمدينـــة ، مونستر ، فى شقاء وفزع ، ثم أعدم ، وعادت مونستر تخضع لكاثوليكية صارمة . غير أنها ليست مسرحية تاريخية ، بل تستند الى المغزى العام لهذه الحركة التى حاولت تطبيق مبادىء الانجيل بحذافيرها ودون أدلى تَرَخّص أو مساومة أو تساهل. وتنتهى بأن محاولة تطبيق ملكوت الســماء على الأرض أمر لا معنى له بل جريمة : فالقبيح والجميــل والنجس والطاهر يسيران معا دون انفصال وسيظلان كذلك على الأرض . وتختم المسرحية بهذه العبارات التى تعطى نوعا من مغزاها ، وفيها

يعترف غنى أعطى كما يملك للفقراء ، ومــع ذلك عذب فى العجــلة :

« كل ما يحدث يكشف عن كمالك يا ربى !
وعمق يأسى مجرد شبيه بعدالتك .
وجسمى فى هذه العجلة يرقد كما يرقد فى قشرة
أنت تملؤها حتى الحافة بفضلك وعنايتك » .

ومغزاها هو السخرية والتهكم من هؤلاء الحالمين من أصحاب الرؤى الطوباوية الذين يظنون أنهم يستطيعون تغيير الدنيا واصلاح العلم بتهاويلهم الايمانية . لقد كان بطلها المغامر المخادع الكذاب بوكلسون يزعم أن الملك جبريل قد أنزله من السماء الى مدينة مونستر ، لأن جبريل وقد بهره نور الشمس مَخَطَ فخرج بوكلسون هذا من مخاطه وسقط على مدينــة مونستر ! وفى الحديث بين الأسقف وأحد الأشخاص تدخل فجأة بائعة خضروات وفواكه تنادى على بضاعتها فتقول : « تفاح ! تفاح ! نزل توا من الجنة ! توا من شجرة المعرفة ! ينزلق فى المعدة ويغســل الجــلد ! رخيص جــدا ، رخيص للغاية ! » — وكل هذه نماذج لطريقة السخرية اللاذعة التى لجأ اليها دورنمات والتى ستصبح أسلوبه الملازم المميز له فى كل مسرحياته .

وواضح أن دورنمات هنا يصدم مشاعر المؤمنين ، ويتمرد على مهنة والده ، ويبدو راغبا فى احداث الفضيحة والضجة بسخريته القاسية التى لا ترحم .

أما من الناحية الدرامية فتتميز هذه المسرحية بأنها تتضمن عددا هائلا من المناجيات ، وبأن كل شخصية فيها مستقلة تقريبا تتحدث عن نفسها ولنفسها ، وبأن التوجيهات المسرحية فيها مفصلة تمتاز بالغـرابة والرغبة فى احـداث الدهشة عنـد المشاهدين . فمثلا نجد توجيها مسرحيا يقول : « أثناء هذا الكلام يدور الجذار فى أعلى ويرى قمر كامل ضخم بحيث تبدو فيه التضاريس والبحار ، وهو معلق فى سماء لا نهاية لها ، لونها أزرق غامق ، ولكن ليس فيها نجوم . وتحت القمر تمتد قمة السقف مبتدئة من النافذة شاملة أفقيا لكل المسرح . بقليل من الوسائل يمكن الوصول الى شىء عظيم . ان الناس دائما أطفال ، ويرون فى القليل كل شىء بسهولة .. » ومن هذا نراه يسخر حتى فى وضع المناظر المسرحية !

٢ ـ « الأعمى »

مثلت مسرحية « الأعمى » فى « مسرح مدينة بازل » لأول مرة فى ١٠ يناير سنة ١٩٤٨ وأخرجها ارنست جنزبرج ، ومثل

الأدوار الرئيسية هورقتس—الذى أخرج رواية «مكتوب»— وماريه بكر Becker وهينتس فوستر . ومغزى الرواية هو أن « الكلمة » هى وسيلة الايمان والكذب معا ؛ انها قادرة على تحقيق عالم خفى ، واختراع عالم غير موجود .

وبطل هـذه الرواية دوق أصيب بالعمى ولهـذا لم ير ما جرى له . فيتوهم نفسه فى سلام وجده أخيرا ، وبين قوم سعداء فى أرض جميلة . لكن الحقيقة حرب وشقاء وسقوط ويأس . ومن هنا الصراع . ويعين الدوق نائبا عنه هو دا پونته، وهو مغامر لا ضمير له ، شيطان ، يضايقه ايمان الدوق فيعمل كل ما فى وسعه لتحطيم ايمانه ، فيخدع ابنة الدوق ، ويدفع ابنه الى الموت ، ويسخر من الدوق حتى آخر المدى ، ويمثل أمامه موت ابنته ويتبين فعلا أن الابنة قتلت نفسها . وتقوم المسرحية على كلمة وردت فى انجيـل متى (٩ : ٢٩) : « حينئذ لمس أعينهما قائلا : كايمانكما فليكن لكما » . وعلى هذا فانه وقع للدوق بحسب ايمانه ! وفى هذا ما يذكر أيضا بما جرى لأيوب.

والخلفية التاريخية لهذه المسرحية هى حرب الثلاثين عاما (بين الكاثوليك والبروتسنت فى أوربا بين سـنة ١٦١٨ وسنة ١٦٤٨) ، ولكن الأمر هنا كما فى المسرحية السابقة أعنى أنها ليست مسرحية تاريخيـة ، بل التاريخ هنا مجرد نقطـة

ارتكاز . ومن العبارات الأليمة فى هذه المسرحية كلام الدوق بعد أن أصيب بالعمى ، مع دل پوتته الذى عينه الدوق نائبا عنه.

الدوق : أنا أعمى ، وعلىّ أن أثق بالناس حتى أبصر .

نجرو داپوتته : كيف تبصر اذا كنت أعمى ؟

الدوق : بأن أستسلم لعماى .

نجرو داپوتته : وما معنى أن يستسلم المرء لعماه ؟

الدوق : هذا معناه أن يؤمن ، أيها الرجل النبيل ! » .

أو مرة أخرى هذا الحوار :

الدوق : انى أحييك يا نجرو دا پوتته . هأنذا أجلس لأول مرة بعد مرضى الطويل فى هذا المساء أمام البوابة الغربية لقصرى . انها بوابة جميلة ، أليس كذلك أيها الرجل النبيل ؟

نجرو داپوتته : ان البوابة أنقاض يا سيدى !

الدوق : (مشيرا فى الخلاء) انها قديمة الصنع كما تستطيع أن تقتنع بذلك بنفسك ، وقد نقشت فيها قصة أيوب فى عقد الحائط . انك ترى الرجل العجوز ناحية اليسار فوق القوس جالسا أمام بيته فى بلاد أوس . وأمامه المغوى الذى يمضى بالصدفة .

نجرو دابونته : انى أرى .

الدوق : والدوق يمسك سيفا فى يده .

نجرو دابونته : سيفا ؟

الدوق : لقد اقترح النحات أن يضع السيف فى يد المغوى.

نجرو دابونته : (يغمد سيفه) .

الدوق : وترى أيضا القصة كلها منقوشة : شقاء أيوب ، والبرص الذى أصيب به ، وكيف يتحدث الله معه ، وكيف أعيد اليه كل ما فقده .. » .

وختام المسرحية يبدو فى هذا الحوار بين الدوق ونائبه :

نجرو : انى راحل .

الدوق : وأنا آجلس هنا وسط قصرى المتهدم .

نجرو : انى أرى .

الدوق : حواليك تمتد أراضى ، انها قفر ، وفى الأشجار السود علق الناس كأنهم عناقيد العنب .

نجرو : علىّ الآن أن أرحل عن أراضيك ، ويجب علىّ أن أعود لألحق بالحرب .

الدوق : لقد عينتك نائبا عنى ، أيها الايطالى النبيل . لقد أعطيتك كل ما أملك .

نجرو : لقد أردت موتك يا سيدى .

الدوق : من يؤمن يقهر الموت .

نجرو : لقد قتل ايمانك ابنك وابنتك .

الدوق : من لا يملك الحياة لابد أن يهلك ، ومن لا ينفذ من خلال الموت لن يمنح الحياة .

نجرو : ليس عندنا كلينا شيء بعد .

الدوق : ينبغي ألا يكون عندنا شيء .

نجرو : ليس في استطاعتنا بعد أن نعطي شيئا ، ولا نستطيع بعد أن نأخذ شيئا .

الدوق : أتى الأوان الذى فيه يقف الناس خاوى الأيدى كأنهم دواب تجمعت لدى ينبوع نازح الماء .

نجرو : ليس لدينا ما يقوله كلانا للآخر .

الدوق : لابد أن نخرس ، حينئذ نسمع .

نجرو : لم يبق غير أرض مدمرة .

الدوق : لقد أخذ منا ما كان لنا . وتحطمت بلادنا ، وصارت الذئاب تتجول فى السهول الخاوية . لقد سقطنا ، ونسى اسم بلادنا . وما كان بين الانسان والله قد انقطع ، وعظمة الانسان انكسرت كأنها آنية فخار ، من حولنا ، وفى لحمنا شق الطريق الذى لابد أن نسير فيه ، وكأنه شق فى صخر .

وهكذا أصابنا ما قدر علينا ، وأرسلنا الى
الموضع الذى ينبغى علينا أن نقطن فيه ؛
وها نحن أولاء محطمون أمام وجه الله ؛ وهكذا
نحيا فى حقيقة الله .

نجرو : واذن سيكون البصير أعمى والأعمى بصيرا ؟

اللوق : « صر أعمى تصبح بصيرا » .

وهكذا يمضى الحوار فى خلال المسرحية أليما حزينا مليئا بالمعانى ؛ والعنصر الدرامى يسودها . ويقول دورنمات عنها انه أراد فيها « أن يضع الكلمة فى مقابل الموضع الدرامى ، الكلمة فى مقابل الصورة » .

٣ ـ « رومولوس الكبير »

ولئن كان فى المسرحيتين السابقتين جانب من الجد ، فبهذه المسرحية تبدأ الكوميديا بالمعنى الكامل عند دورنمات . وقد مثلت لأول مرة فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٤٩ أخرجها جنزبرج الذى أخرج مسرحية « الأعمى » ومثل الدور الرئيسى فيها هورقتس، وذلك على مسرح بازل . ونقطة الارتكاز التاريخية فيها هى فترة التحول ، تلك الفترة التى مرت بين انحلال روما القديمة وبين ظهور القبائل الجرمانية ، ولعله أراد بهذا أن يكون رمزا وتعريضا بالحضارة الأوربية .

رومولوس ، القيصر الرومانى ، يبــدو للمشاهدين أنه لا يهتم الا بتربية الدجاج ! وقد أخذ دورنمات هذه الفكرة من احدى الروايات المنقولة عن تاريخ روما ، ورأى فيها مجالا ممتازا للهزل والسخرية . ورومولوس يصور لنا على أنه رجل شريف بسيط لا يفتخر بشىء . والحاشية المحيطة به تقول عنه انه قيصر شائن . وحينما ينبهه عاملة اسپوريوس الى واجباته نحو روما ، يجيبه : « لقد ماتت روما منذ زمن طويل . انك تضحى نفسك لميت ، انك تجاهد فى سبيل ظل وشبح ،انك تعيش من أجل قبر متهدم . اذهب ونم أيها الوالى ، لقد حول العصر الحالى البطولة الى حركة مصطنعة » .

وتظهر لنا ابنته فى الفصل الثانى وهى تنشــد نصوصا مسرحية يونانية وهى تتلقى دروسا فى التمثيل ، فيقول لهــا معلمها : « تعالى الى المأساة أيتها الأميرة ! تعالى الى مشاعر الحزن العميق .. » وفى هذه اللحظة يحدث اللقاء بينها وبين الحبيب الذى عاد من السجن الرهيب ، فتتعرفه الفتــاة من الخاتم . وهناك تنشأ المشكلة : هل تضحى ابنة القيصر بنفسها فتتزوج الرجل الغنى ؟ الكل يطالبونها بذلك ، وحتى العريس نفسه ، وفى النهاية تطالب هى بنفسها بذلك ، ولكن القيصر لا يوافق فى عبارة رسمية يقول فيها : « ان القيصر لا يصدر

أمرا بالموافقة .. والقيصر يعرف ماذا يفعل ، حينما يلقى بامبراطوريته فى النار ، وحينما يترك للسقوط ما ينبغى أن يسقط ، ويطأ بقدميه ما صار من شأن الموت » .

أما الفصل الثالث فتكرار هزلى لمأساة اغتيال قيصر يسبقها منظر يجرى فيه حوار بين القيصر وزوجته ، فيه يكشف القيصر عن سياسته ، سياسة المرونة أمام التاريخ العالمى ، والرضوخ لمنطق التاريخ الجبار ، ومنظر آخر فيه حوار بين القيصر وابنته ، ينطوى على دعوة الى تفضيل الاخلاص للدولة على الاخلاص للانسانية . ويظهر الجرمان على المسرح كأنهم جنود لم ير مثلهم من قبل ، فيقول القيصر : « لم أر رجالا أكبر من هؤلاء ، ولن تروا أكبر منهم أبدا » . ولكن الجرمان يلتزمون الصمت مدهوشين . وينتهى الفصل بأن يمضى القيصر بطيئا خفيض الرأس محطم النفس ، يمضى الى أمر مروع هو التقاعد .

ولقد قال دورنمات فى محاضرته عن « مشاكل المسرح » ان لغة المسرح لا يمكن أن تخلو من مبالغة ، لكن ينبغى أن نعرف متى يجب أن نبالغ ، وخصوصا أن نعرف « كيف » نبالغ . ومسرحية رومولوس تظهر المبالغة فيها فى كيفية سرد الأحداث . والصعوبة الظاهرة فى مسرحية رومولوس هى فى أن رومولوس لا يبدو للجمهور بسرعة أنه يتعاطف معه . ولقد

وصف دورنمات بطله هذا فقال انه « مرح ، متسباهل ، انسانى، وبالجملة هو انسان يمضى فى طريقه بكل قساوة ودون أدنى تحفظ ، ولا يتورع عن أن يطالب الغير بكل ما هو مطلق ؛ انه رجل خطر عرض نفسه للموت ؛ وهذا هو المخيف فى أمر هذا القيصر المربى للدجاج ، هذا الحاكم للعالم المجنون ، الذى مأساته فى مهزلة نهايته ، أعنى احالته الى التقاعد ، ولكنه كان من الفطنة وحسن العقل — وهذا وحده يجعله عظيما — بحيث يقبل ذلك » .

ولقد صاغ دورنمات هـــذه المسرحيـــة مرتين الأولى فى سنة ١٩٤٩ والثانية فى سنة ١٩٥٧ ، وقد نعتها بأنها كوميديا تاريخية غير تأريخية ، ومغزاها أن المرء ينبغى عليه « أن يحب الوطن أقل مما يحب الانسان » .

٤ – «زواج السيد مسيسبى»

مثلت هذه الرواية أول ما مثلت فى أحد مسارح منشن (مونيخ) Münchmer Kanmerspiel فى ٢٦ مارس سنة ١٩٥٢، وتولى الاخراج اشفايكرت ، وقامت ماريانكلش Niklisch بدور أنسطاسيا ، وزيفـــرت بدور سان كلود ودومين بدور مسيسبى .

وهذه الرواية لقيت نجاحا هائلا ، فكانت هى التى جلبت للمؤلف شهرة عالمية ، « وهى مزيج من الجرائم ونماذج متاحف الشمع والمواعظ الأخلاقية والبيانات الدرامية » كما يقول ألفردس . وفيها نجد ثلاثة أشخاص يحاولون اصلاح العـالم أحدهم نائب عام سم زوجته الخائنة وهو مقتنع بأنه بهذا يعود الى شريعة موسى ؛ والثانى شيوعى من أصل نبيل ، والثالث طبيب مختص فى أمراض المناطق الحارة ولكنه انجل ، بيد أنه عاشق خيالى ؛ يضاف اليهم أرملة سمت زوجها وتكفيرا عن فعلتهما : هى والنائب العام يتزوجان ! — وفى هـذا نرى دورنمات يضع الموظف الشيوعى فردريك رينيـه سان كلود والنائب العام المتعصب فلورستان مسيسپى على أنهما أنبـل الأخلاقيين فى عصرنا ، ويستخدمها من أجل أن يوجـه الى السياسة والكنيسة نقدا لايرحم ، لأن مغزى الرواية هو أن القيم الروحية نفسها لا تستطيع أن تغير من حال العالم « وأن من الممكن تغيير أى شىء الا الانسان » . ومن المناظر العليا فى هذه الرواية ذلك الحديث بين النائب العـام مسيسپى وبين أوبلوهه . قال الأول للثانى : « خذ قبلة يوداس ! لقد تخليت عنك ، أنا الذى أقضى على العالم ، تخليت عنك أنت الذى تحب العالم . لقد ماتت المسيحية ، اللوحان الحجريان اللذان جاء بهما

الله من جبل سيناء سيقبرانا حينما يسقطان . اللعنة على الساعة التى ضربك فيها الملاك وهو يتنزل ، والتى فيها حطمتك الروح وهى شعاع كالبرق ، لقد حـولك الى نموذج أول للشـقاء لا يستطيع أن يقف على قدميه ، حولك الى محب للانسانية قَمِل ، يسبح فى بحور من الأفسنتين والكحوليات الرخيصة ، الى متشرد ليس فى جيبه فلس واحد ، مطارد فى الدنيا كلها ، يقع فريسة سهلة لأى اغراء . عبثا كل ما صنعت أيها الكونت ، وفى سبيل العدم كانت أعمالك ، ومستشفياتك فى الغابات قد غاصت فى الأدغال تحيط بها أشجار العليق ، كانت حلما غاب فى الطحالب السوداء » .

والرواية تبدأ بتصفية جاسوس سوفييتى يعمل لحساب الحزب الشيوعى . ثم نجد النائب العام فلورستان مسيسپى ، وتاريخ خدماته حافل بعدد ضخم من أحكام الاعدام بلغت ٣٥٠، يسم امرأته لأنها خانته مع شخص آخر لكنه يريد التكفير عن هذه الجريمة . وفى سبيل هذا يتفقـد أنسطاسيا التى قتلت زوجها الأمين الوفى بأن دست له السم ، بينما هى لم تدع ساعة غرام لم تستغلها . ويستطيع مسيسپى أن يبرهن لها بالأدلة القاطعة على أنها هى التى قتلت زوجها ، كأنما فى نفس الوقت يرى أن هذه فرصته ليكفر عن جريمتـه هو المماثلة وذلك

بالزواج منها ، ولهذا يطلب اليها يدها ، فتوافق على الزواج ، وتأتى هذه النهاية بمثابة جرعة من السم جديدة تقدمها نفس اليد التى سبق أن سمت زوجها !

وقد استخدم دورنمات فى هذه الرواية وسيلة الاضاءة الخلفية flash-back المستخدمة فى السينما وذلك بالجمع بين الماضى والحاضر فى سبيل اجراء الأحداث ، كما استخدم وسائل غير مألوفة — مثل ما حدث فى فاتحة الرواية — من جعله الأشخاص يتكلمون ويعلقون ، وفجأة يوجـه الاهتمام الى الاضاءة فى قاعة المشاهدين ويرسل بشخص عند طرف خشبة المسرح يوجه سؤالا الى الجمهور ، وبهذا لا تنتهى الرواية النهاية التى نألفها عادة . ودورنمات ليس من أنصار وضـع المشاهدين فى الظلام بينما خشبة المسرح مضاءة ، بل يطالب باضاءة المكانين معا . وهو فى هذا انما تأثر برتولت برشت .

٥ — « وجاء الملاك الى بابل »

وفى مقابل رواية « مسيسبى » هذه تقف رواية « وجاء الملاك الى بابل » فالأولى — كما يقـول المؤلف — مكتوبة للهواء الطلق ، والثانية للمسرح . ومن هنا اختلفا فى اللغـة وتصوير الأشخاص . فمن حيث اللغة امتلأت رواية «مسيسبى»

بالحماسة الفياضة والعبارات الملتهبة وابتعدت عن اللغة الدارجة؛ أما رواية « الملاك » فقد لجأت الى لغة التخاطب وكانت نثرية الأسلوب ، أى مبتذلته . ومن حيث تصوير الأشخاص نجدهم فى « مسيسبى » يتسعون ويمتدون ويستطيلون الى أقصى الأبعاد التى يسمح بها المسرح ، أما فى « الملاك » فالأشخاص محدودون مقصورون على حدود المسرح الضيقة .

ودورنمات نعت رواية « وجاء الملاك الى بابل » فى أول الأمر بأنها « كوميديا من ثلاثة فصول » ، وفيما بعد قال عنها انها « كوميديا من شذرات » على هيئة برج بابل . والرواية مثلت لأول مرة فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٣ فى أحد مسارح ميونيخ ، ثم مثلت فى زيورخ فى يناير سنة ١٩٥٤ .

والرواية كما قال عنها مؤلفها « هى قصة تحكى لماذا شيد برج بابل .. وتشييد البرج كان بمثابة تحد للسماء وهجوم عليها ، تلك هى العبرة من هذه الحكاية . والموضوع يدور حول النهاية الأليمة للعالم ، وتجرى الأحداث فيها الى ما هو مارد عملاق ، ثم يتحجر العالم فى خطيئته .. ومحتوى الكوميديا هو كيف نعب العالم بسعادته وامكانياته » .

وقصة « برج بابل » قد شغلت دورنمات منذ طفولته ، وعنى بها عناية خاصة منذ سنة ١٩٤٨ ، لكنه رأى أنها أكبر من

أن تتسع لها مسرحية واحدة . وقد تصور آنذاك أن مجرى الأحداث والمغزى ينبغى أن يكون كما يلى : لقد شاء بختنصر أن يشيد هذا الصرح انتقاما من السماء وغزوا لها (وهذا يشبه مغزاها كما وردت فى القرآن : « وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات » - سورة غافر آية ٤٥ ، مع اختلاف طبعا فى الأشخاص الذين ينسب اليهم هذا الخبر) . وبارتفاع الصرح يصير الناس أصغر فأصغر ، حتى يصبحوا فى النهاية مجرد أشباح — وفى مقابل الملك بختنصر نجد المعمار الذى شيد البرج (أو الصرح) بنية أخرى مضادة لنية الملك ، وهى أنه قام بتشييد البرج من أجل السيطرة على الناس لا من أجل غزو السماء ، ولما قتل بتهمة الخيانة العظمى ظل ينادى بالحرية ، بعد أن عمل كل شىء من أجل استعباد الناس .

وشخصية بختنصر فى الرواية هى الشخصية الكوميدية الرئيسية ، بينما الملاك يبدو ورعا فى سذاجة تجعله يخطىء ويضل .

٦ - « زيارة السيدة العجوز »

تعد هذه المسرحية أشهر مسرحيات دورنمات ، وقد مثلت لأول مرة فى الشوسبيلهاوس (زيورخ) فى ٢٩ يناير سنة ١٩٥٦ ،

وقام باخـــراجها ڤيلترلين ، واشتركت فى تمثيلها تيريزا جيزه وجوستاف كنوت .

وأشخاص الرواية هم : كلير زخنسيان (من أسرة ڤيشر)، وهى سيدة صاحبة ملايين عديدة ؛ وأزواجها ؛ و « ال » Ill وزوجته وابنته وابنه ، ثم مدرس وقسيس ، وعمدة ، وشرطى، الخ . والمكان هو قرية جولن .

وخلاصتها أن السيدة كلير ڤيشر غرر بها السيد «ال» Ill فى شبابها وجعلها تحمل منه ولدا ، ثم لم يبر بقسمه لها على الزواج ، بل هجرها هى وابنها غير الشرعى . فارتحلت كلير الى خارج البلاد ، وبفضل جمالها الفاتن استطاعت الزواج من عدة رجال فتنوا بها ثم تخلصت منهم الواحد بعد الآخر وفى كل مرة تحصل من كل منهـم على ثروة طائلة مما جعلها من أصحاب الملايين العديدة . وتعود السيدة كلير تحت اسم كلير زخنسيان الى بلدها الأول ، قرية جولن ، فأحدثت عودتها ضجة عظمى ، لأنها وعدت بأن تتبرع للقرية (أو المدينة الصغيرة) بمبلغ ضخم بشرط أن تنتصف لنفسها من عاشقها الخائن فى زمن الصبا ، «ال» Ill . « انها تتبرع بمليار فرنك لقرية جولن اذا قتل ال Ill » . وفى بداية الأمر رفض أهل القرية هذا العرض بغضب ، ولكنهم بدأوا فى نفس الوقت يتناقشون فى معنى

الأخلاق والواجب ، والغاية تبرر الواسطة ، الى حد أن انتهوا أخيرا الى أنه فى سبيل مصلحة القرية قتل « ال » ضرورى بل ومشروع ولا يتنافى مع الأخلاق ! وشيئا فشيئا بدأ سكان القرية يشترون من « ال » البقال بالأجل (لا نقدا) ففهم « ال » من هذا أنهم قرروا اغتياله . وهكذا تنتهى الرواية بأن الانسان يستطيع أن يشترى الكثير ، حتى الأخلاق والعدالة !

وفى ملاحظة أوردها المؤلف فى نهاية المسرحية المطبوعة قال : « ان زيارة السيدة العجوز قصة تجرى حوادثها فى مكان ما فى وسط أوربا فى مدينة صغيرة ، كتبها مؤلف ليس بعيدا عن هؤلاء القوم ، وليس متأكدا هل كان عليه أن يسلك غير هذا المسلك : لكن ما هو أكثر من القصة هو أمر لا يحتاج أن يذكر هنا ولا أن يمثل على المسرح . والأمر كذلك بالنسبة الى الخاتمة . صحيح أن الأشخاص يتحدثون هنا بطريقة أكثر صراحة مما يجرى عليه الأمر فى الواقع ، وعلى نحو فيه لغة أجمل بحيث يمكن أن يعد شعرا ، لكن ذلك لأن أهل جولن قد صاروا أغنياء فصاروا يتحدثون حديث محدثى النعمة . انى أصف ناسا ، لا بهلوانات ، فعلا لا رمزا ، وأضع عالما ، لا أخلاقا ، كما ينسب الى كذبا ؛ نعم انى لا أسعى لمقارنة العالم بمسرحيتى ، لأن هذا أمر بين من تلقاء نفسه ، طالما ظل الجمهور ينتسب الى المسرح » .

ذلك أن من الواضح أن المؤلف أراد أن يتهكم من مواطنيه السويسريين وحبهم للمال حبا يدفعهم أحيانا الى التغاضى عن مقتضيات الأخلاق ، ويتهكم من رغبتهم فى الرخاء بأى ثمن ، وحرصهم على طلب السعادة الهانئة المسالمة . ولهـذا يختم المسرحية بنشيد ودعاء ينشده الجميع :

« اللهم احفظ أموالنا المقدسة ، واحفظ لنا السلام

واحفظ الحرية

وليظل الليل عنا بعيدا لا يشيع الظلام بعد فى مدينتنا

مدينتنا الرائعة التى بعثت من جديد ، حتى ننعم بالنعيم هانئين » .

٧ ــ « علماء الطبيعة »

هذه ملهـاة فى فصـلين ، مثلت لأول مرة فى ٢١ فبراير سنة ١٩٦٢ بمسرح اتسورش (زيورخ) Schauspielhaus Zürich ، وموضوعها مستمد من الطبيعة النووية وآثارها الخطيرة على الانسانية .

وأبطالها ثلاثة مجانين أحدهم يتصـور نفسه أنه اسحق نيوتن والثاني أنه ألفرد اينشتين ، أما الثالث فهو عالم طبيعة حقا وقد بقى في المصحة العقلية التي تديرها الآنسة الدكتورة فون اتسند منذ خمس عشرة سـنة دون أن تتغير حالتـه ،

والأولان عالما طبيعة يبحثان فى الطبيعة النووية وفى المواد ذات الطاقة الاشعاعية ، فأصيبا بالجنون وساءت حالتهما أكثر فأكثر ، ولعل ذلك — فيما تحسب الآنسة الطبيبة — من تأثير الطاقة الاشعاعية فى المخ . وكلاهما خنق ممرضتين فى تلك المصحة ، وها هو ذا مفتش البوليس يحضر للمرة الثانية للتحقيق فى هذا الحادث الذى يحدث لثانى مرة فى هذه المصحة ، وفى نفس الوقت يطلب من الطبيبة أن تعين ممرضين رجالاً بدلا من الممرضات السيدات حتى لا يقع حادث جديد . وبينما هما فى هذا الحديث الأليم تحضر السيدة روز ، زوجة المبشر الدينى أوسكار روز التى اقترنت به منذ ثلاثة أسابيع ، وكانت قبيل ذلك زوجة لعالم الطبيعة الثالث موبيوس وأنجبت منه ثلاثة أولاد ، وكانت قد عرفته وهو طالب فى المدرسة الثانوية لأنه كان يسكن فى غرفة بأعلى منزل أبيها ، وكان يتيما فقيرا كل الفقر ، فساعدته على اكمال دراسته حتى درس الفزياء (علم الطبيعة) ، واقترنت به حين بلغ سن العشرين على غير رغبة أبويها ، وكانا يشتغلان بجد : هو حتى يحصل على الدكتوراة ، وهى تعمل فى مصلحة النقل حتى تكفل المعاش لهما . ثم أنجبا ثلاثة أولاد . وأخيرا تبدى فى الأفق منصب أستاذ علم الطبيعة فى احدى الجامعات وهنالك مرض موبيوس فأدخلته المصحة

العقلية التى تديرها الآنسة الدكتورة فون اتسند ، مصحة « الكرز » ، واشتغلت هى فى مصنع توبلر للشوكولاته حتى تكفل عيش أولادها والانفاق على المريض فى المصحة . لكن المطالب تجاوزت مواردها ولم يعد فى طاقتها الانفـاق على زوجها المريض ، فتزوجت هذا المبشر الذى كان بسبيل الرحيل الى جزر الماريان فى المحيط الهادى للقيام بالتبشير ، وهو أرمل أنجب من زوجته الأولى ستة أولاد ؛ وهكذا أصبح على كاهل الزوجة المسكينة تسعة أولاد !

ثم يظهر موبيوس فيكون منظر بالغ التأثير بينه وبين أولاده الثلاثة وزوجته السابقة : الأولاد يعزفون على الناى ، والوالد زائغ حائر ، والزوجة « السابقة » ملؤها الحنان وعلى ضميرها وقر من ترك زوجها المجنون واتخاذ زوج جـديد . وينتهى المنظر بخروج الأسرة الحزينة باكية تسفح العبرات ؛ والأب يودعها قائلا : « لا أريد أن أراكم عوض ! لقد أهنتم الملك سليمان ! عليكم اللعنة ! غوصوا مع جزر المريان فى أعماق المحيط الى عمق أحد عشر ألف متر ! فى هاوية المحيط السوداء ليكن قبركم ، ملعونين من الرب والناس ! » ويخلو المنظـر الا من الأخت (الممرضة) مونيكا وموبيوس ، ويجرى بينهما الحوار مشيرا الى ما انعقد بينهما من مودة بل ومحبة ، وقد

خلا لهما الجو الآن ليتزوجا ! ويشير الحديث بينهما الى العلة التى أصيب بها موبيوس وهى أنه يتصور أن الملك سليمان يتجلى له ، ولم يكن أحد يؤمن بامكان تجلى الملك سليمان له! واذا بالأخت مونيكا تؤمن معه بتجلى الملك سليمان له كل يوم وليلة ، وأنه يملى عليه « أسرار الطبيعة وارتباط كل الأشياء ونظام كل الاختراعات الممكنة » . انها تؤمن معه بذلك ، بل حتى لو قال لها ان الملك داوود يتجلى له هو الآخر بأبهة حاشيته فانها ستصدقه . وتقرر أمامه أنه ليس مريضا (مجنونا) وهى تشعر بذلك فى قرارة نفسها . لكنه يقول لها : « انه لقاتل أن يؤمن المرء بالملك سليمان » . لكنها تحبه ، والحب أقوى من كل شىء . فينبهها الى خطورة ذلك ، لكنها لاتخشى على نفسها شيئا فى سبيل هذا الحب ، انما تخشى عليه لأن المريضين الآخرين — نيوتن واينشتين — خطران .

وفى هذه اللحظة يحضر اينشتين ويعترف بأنه خنق الأخت ايرينه ، ثم يلاحظ أن موبيوس والأخت مونيكا يحب كلاهما الآخر ، فيقول لهما انه هو الآخر كان يحب الأخت ايرينه وهى تحبه ، وتريد له كل شىء ، فحذرها وعاملها معاملة الكلاب ، لكن عبثا فقد ظلت على حبها له ، وأرادت أن ترحل معه الى الريف ليقترنا ويعيشا معا ، وحصلت على موافقة الآنسة

الطبيبة ، وهنالك خنقها اينشتين ! ثم يختم اينشتين حديثه لهما قائلا لمونيكا : كونى عاقلة واسمعى لحبيبك واهربى والا ضعتما. ثم يختفى .

ويخلو المسرح مرة أخرى لموبيوس ومونيكا فيقول لها انه ارتكب خطيئة كبرى لأنه كشف عن سره اذ لم يكتم أن الملك سليمان تجلى له . ولابد له أن يكفر عن هذه الخطيئة طوال حياته ، وهى لا شأن لها بهذه الكفارة ، فلتمض لسبيلها حتى لا تصيبها نفس المصيبة : « اتركى المصحة ، وانسينى ؛ هذا أفضل لكلينا » . لكنها تريد أن تنام معه فى فراش واحد وأن تنجب منه أولادا وتقسم له بحبها . فيقول لها انه غير جدير بحبها ، وسيظل على ولائه للملك سليمان الذى اقتحم حياته وأساء استغلالها بل وحطمها . لكنها تصر على أن يتزوج منها وقد وافقت على ذلك الآنسة الطبيبة ، « صحيح أنها ترى أنك مريض ولكنك لست بخطر ؛ ... بل هى نفسها مجنونة أكثر منك ، هكذا قالت وضحكت » . وتقول له انها رتبت كل شىء لحياتهما : فهى ستعمل ممرضة فى مستشفى القرية فى بلومنشتين ، ثم انها تحدثت مع العالم الفزيائى الشهير الأستاذ شربرت بشأنه فوعد بأن يفحص مخطوطات موبيوس دون أى تحيز وصرحت له بأن هذه المخطوطات من املاء الملك سليمان .

ويتضاءل الضوء شيئا فشيئا على حوار غرامى حار بين كليهما ؛ ثم .. يمسك موبيوس بالستارة ويكون صراع قصير وبعده يسود الصمت . وهنا يظهر نيوتن بزى عصره فيسأل : ماذا حدث ؟ فيقول موبيوس بكل هدوء : لقد خنقت الأخت مونيكا — بينما كان اينشتين فى الغرفة رقم ٢ يتابع العزف على الكمان ! وهكذا قتلت الممرضة الثالثة ، وكان الحادث الثالث .

وبهذا ينتهى الفصل الأول ويبدأ الفصل الثانى بمثل ما بدأ الأول : جثة ، ومفتش البوليس ، والآنسة الطبيبة ؛ لكن لم يعد هناك ممرضات ، بل ممرضون هم أبطال رياضيون معروفون ؛ واينشتين يعزف على الكمان أيضا . ثم يظهر موبيوس ، القاتل الأخير ، وهو يصيح : « مونيكا ! حبيبتى ! » وتسأله الآنسة الطبيبة كيف ارتكب هذه الفعلة النكراء فقتل أعز ممرضاتها وأطيبهن وأعذبهن . فيبدى موبيوس أسفه قائلا: « لقد أمرنى بذلك الملك سليمان ! » .

ويمضى المفتش ونكون أمام موبيوس ونيوتن وأينشتين وهم يتناولون الطعام . ويدور حديث بين موبيوس ونيوتن أولا يقول فيه نيوتن : « اعترف ، يا موبيوس ! أنا لست مجنونا » . فيرد موبيوس : « طبعا ، لا » .

نيوتن : ولست السير اسحق نيوتن

موبيوس : أنا أعرف ذلك . أنت ألبرت أينشتين .

نيوتن : كلام فارغ . ولا أنا هربرت جيورج بويتلر كما يعتقد الناس هنا . ان اسمى الحقيقى هو كيلتون ، يا صديقى .

ويتطلع فيه موبيوس فزعا ويقول : أنت ألك يسپر كيلتون ؟

نيوتن : نعم .

موبيوس : مؤسس نظرية التناظر .

نيوتن : نعم هو

ويجرى حديث مماثل بين اينشتين وموبيوس يصرح فيه اينشتين بأنه ليس مجنونا ، وأنه عالم طبيعة ، وعضو فى المخابرات السرية وأن أسمه يوسف ايسلر . فيصيح فيه موبيوس : مكتشف أثر ايسلر ؟

اينشتين : نعم هو .

ويطول الحوار بينهم ونعلم منه أن موبيوس حل مشكلة الجاذبية ، لكن هذا الأمر أزعج المخابرات السرية التى يعمل فيها اينشتين اذ ظنت أن موبيوس سيصل الى النظرية الواحدية للجزيئات العنصرية . لكن موبيوس يطمئنه على أنه

وجد هذه النظرية والصيغة الكونية . لكن اينشتين يرى أن علماء الطبيعة — أى هؤلاء الثلاثة — لم يحسبوا حساب المسئولية التى تقع عليهم بازاء البشرية فانهم يقدمون للانسانية وسائل هائلة للقوة . أفليس من الواجب أن يشترطوا شروطا : « لابد أن نصبح سياسيين كبارا أقوياء ، لأننا علماء فزياء . ولابد أن نقرر لصالح من سنستخدم علمنا » . ويكاد الحوار ينتهى بينهم الى سحب المسدسات ! واذا بموبيوس يصرح بأنه أحرق مخطوطاته ، وفيها أسرار كل هذه الاختراعات الهائلة ، وهى التى أملاها عليه الملك سليمان فى تجلياته له ! لكنه سعيد بهذا ، فهذا أفضل من أن يستغلها كبار الساسة الطامعين فى بسط سلطانهم . ولخير له أن يقيم فى مصحة عقلية من أن يسلمها الى هؤلاء الساسة ! ويقول : « لقد فرض العقل علينا هذه الخطوة . لقد بلغنا فى علمنا حدود ما يمكن معرفته ، وصرنا نعرف بعض القوانين التى يمكن صياغتها بدقة ، وبعض العلاقات الأساسية بين الظواهر غير المدركة — وهذا كل شىء ، أما البقية الضخمة الباقية فستظل سرا لا يلج حماه العقل . وقد بلغنا نهاية طريقنا . أما الانسانية فلم تمض بعد الى ذلك المدى . لقد استبقنا الى الكفاح ، لكن لم يتابعنا أحد ، وها نحن أولاء نصطدم بالفراغ . وأصبح علمنا مروعا ، وبحثنا

خطرا ، ومعرفتنا قاتلة . ولم يبق أمامنا نحن علمـــاء الطبيعة الا التسليم للواقع .. علينا أن نسحب علمنا ، وأنا من ناحيتى قد سحبت علمى . وليس ثم حل آخر » .

وفى هذه العبارات مغزى هذه الملهاة الأليمة !

عبد الرحمن بدوى

أشخاص المسرحية

الآنسة الدكتورة ماتيلدة فون اتساند :	طبيبة أمراض عقلية
مارتا بول	رئيسة الممرضات
مونيكا اشتتلر	ممرضة
أوفا سيفرس	كبير الممرضين
ماك آرتر	ممرّض
موريلو	ممرّض
هربرت جيورج بويتلر ، ويدعى نيوتن	مريض
أرنست هينرش ارنستى ،ويدعى اينشتين	مريض
يوهان ڤلهلم موبيوس	مريض
أوسكار روزه المبشر	
لينا روزه زوجة المبشر	
أدولف فريدرش	أولادهما
ڤلفريد كسپار	أولادهما
يورج لوكاس	أولادهما
رتشرد فوس	مفتش التحقيقات الجنائية
طبيب شرعى	
چول	شرطى
بلوخر	شرطى

مثلت لأول مرة فى مسرح السورش (زيورخ)
فى ٢١ فبراير سنة ١٩٦٢

الفصل الأول

المكان : قاعة استقبال فى « فلا » لطيفة وان كانت لاتخلو من اضطراب فيها تقوم مصحة « الكرز » • البيئة المحيطة : أولا شاطىء بحيرة طبيعى ثم تحجبه المبانى ، وبعد ذلك مدينة متوسطة صغيرة • وهذه البقعة التى كانت فيما مضى جميلة بما فيها من قصر ومدينة قديمة قد صارت الآن تشوهها الأبنية القبيحة لشركات التامين ، وتعتمد فى وجودها خصوصا على جامعة متواضعة فيها كلية لاهوت ودروس صيفية فى اللغة ، ثم على مدرسة تجارة ومدرسة صناعة الأسنان ، ومدارس بنات ومن صناعات ضئيلة لاتستحق الذكر ، وهى فى ذاتها بعيدة عن الحركة والأعمال • كما ان المنظر حولها يهدىء الأعصاب ، ويوجد معالم جبال وروابى فيها غابات مزروعة وبحيرة كبيرة ، وسهل منبسط بالقرب منها يعلو فيه الدخان فى المساء ، وكان فى الماضى مستنقعا كئيبا ، أما الآن فتشقه القنوات وقد صار خصيبا ، وفى مكان ما يقع ليمان وأشغال زراعية كبرى تتعلق به ، ويرى فى كل مكان جماعات صامتة من المجرمين يقطعون ويفلحون • ومع ذلك فليس للمكان أى دور ، ولم نذكره هنا الا ابتغاء دقة الوصف ، فاننا لن نغادر فلا مصحة الأمراض العقلية (والآن قد ذكرنا هذه الكلمة) أبدا ، بل أكثر من هذا : لن نغادر قاعة الاستقبال أبدا ، وهكذا التزمنا وحدة المكان والزمان والفعل التزاما تاما ، فان فعلا يجرى بين مجانين لايلائمه غير الشكل التقليدى • لكن لنرجع الى الموضوع • ففيما يتصل بالفلا ، لقد كان فيها كل مرضى صاحبة

هذه المؤسسة الآنسة الدكتورة ماتيلده فون اتساند (وهى تحمل أيضا دكتوراه فخــرية) ، وكان من بينهم الارســـتقراطيون المرورون ، والسياسيون المصابون بتصلب الشرايين ـ أن كانوا لايزالون فى الحكم ـ وأصحاب الملايين الضعاف ، والكتـــاب المصابون بالفصام ، وكبار رجال الصــناعة المصــابون بالهبوط الجنوبى ، الخ الخ ، وبالجملة فكل الصفوة المختلة عقليـــا فى نصف العالم الغربى ، وذلك لأن الآنسة الدكتورة مشهورة ليس فقط من أجل أن هذه الفتاة الحدباء فى ميدعتها الطبية تنحدر من أسرة قوية عريقة ، وهى آخر سلالة منها تســـتحق الذكر ، بل وأيضا لما اشتهرت به من حب لبنى الانسان ومن مهـارة فى علم الأمراض العقلية ، حتى ليستطيع المرء أن يقرر وهو مطمئن أنها ذات شهرة عالمية (وقد ظهرت أخيرا رسائلها مع كارل جســتاف يونج) • والآن قد انتقل المرضى البارزون ، وان كانوا ليســوا دائما لينين ، الى المبنى الجديد الأنيق الوضـــاء ، وحتى بالرغم من الأسعار الفاحشة فان الماضى الأليم قد أضحى مجرد لذةخالصة. والمبنى الجديد يمتد فى الجزء الجنوبى من الحديقة الفسيحة الى أجنحة عديدة [وفى الكنيسة رسوم ارنى الزجاجية] فى اتجاه السهل بينما يمتد العشب الحافل بالأشجار الباسقة من «الفلا » حتى البحيرة • وعلى طول الشاطىء يمتد ســور من الحجر • وفى قاعة استقبال « الفلا » التى أصبحت الآن قليلة النزلاء ، يوجــد ثلاثة مرضى ، هم بالصدفة ـ أو ليس بالصدفة تماما ـ نقول انهم علماء طبيعة ، تستعمل معهم مبادىء انسانية ويترك معا ما يرتبط بعضه ببعض • وكل منهم يعيش لنفسه فى عالمه الذى يتخيله ، ويتناولون الطعام معا فى قاعة الاستقبال ، ويتناقشون أحيانا فى علومهم أو يحدقون أمام أعينهم ، انهم مجانين لايؤذون ، خليقون بالحب مطيعون يسهل قيادهم وليست لهم مطامع • وبالجمـــلة فانهم كانوا سيبدون مرضى نموذجيين ، لو لم يقع فى الأيام الأخيرة

أمر بالغ فظيع : فمنذ ثلاثة أشهر خنق أحدهما ممرضة ، والآن تكرر هذا الحادث مرة أخرى • فجاءت الشرطة الى « الفلا » من جديد • ولهذا امتلأت قاعة الاستقبال على غير العادة • وقد رقدت الممرضة على الأرضية فى وضع نهائى أليم ، ولكن الى ناحية الداخل حتى لايفزع الجمهور من غير ما داع ولا حاجة • لكن يجب ألا ننسى أنه وقع صراع بين القاتل والقتيلة • فالأثاث قد اختلط بعضه ببعض • وعلى الأرض مصباح ذو أرجل وكرسيان ، وفى المقدمة ناحية اليسار منضدة مستديرة مقلوبة بحيث ترى أرجلها تحدق فى النظارة • وفضلا عن ذلك فان تحويل « الفلا » (وقد كانت قبل ذلك بيتا صيفيا لآل اتساند) الى مصحة للأمراض العقلية قد ترك آثارا أليمة فى قاعة الاستقبال • والجدران قد طليت بطلاء صحى من لون اللاك حتى ارتفاع قامة الانسان ، وفى أسفل ذلك طلاء بالجبس وفى بعض المواضع ملاط بالكلس والرخام • والأبواب الثلاثة فى الخلفية ، وهى تقود من بهو صغير الى حجرة علماء الطبيعة المرضى ، قد كسيت بالجلد ، وقد رقمت من واحد الى ثلاثة • وعلى اليسار الى جانب القاعة يوجد جهاز تدفئة مركزية قبيح الشكل ، وعلى اليمين حوض غسيل وفوطة يد على مشجب قائم • ومن الحجرة رقم ٢ (وهى الحجرة الوسطى) يأتى عزف كمان مصحوب بعزف على البيان • بيتهوفن • سوناتا الكرويتسر. وناحية اليسار توجد واجهة الحديقة ، والنوافذ عالية تصل حتى الأرضية المغطاة باللينوليوم • وعلى يمين نافذة الواجهة ويسارها ستارة غليظة • والباب ذو الجناحين يقود الى شرفة (تراس) تبرز حجارتها المرصوصة عن الحديقة وعن جو نوفمبر المشمس نسبيا • الوقت بعد الرابعة والنصف ، بعد الظهر ، بقليل • وعلى اليمين على مدفئة لافائدة منها أمامها ستارة حديدية ، علقت صورة رجل عجوز ذى لحية مدببة لها اطار مذهب ثقيل • وفى المقدمة عن يمين باب من السنديان غليظ • وأمام غطاء الخزانة

الأسمر علقت نجفة ثقيلة • الأثاث : حول المائدة المستديرة ـ وقاعة الاستقبال قد رتبت ـ ثلاثة كراسى مطلية بطلاء أبيض مثل المنضدة • والأثاث الباقي فيه بعض الكسور ، وينتسب الى عصور مختلفة • وناحية الأمام عن يمين توجد أريكة (سوفا) ومنضدة صغيرة حولها كرسيان • والمصباح ذو الأرجل مكانه الحقيقى خلف الأريكة ، وعلى هذا فالحجرة ليست مزدحمة • ولتجهيز مسرح يمثل عليه دور الساتير ، فى مقابل مسرحيات القدماء ، لايحتاج المرء الى كثير من الأدوات • ونستطيع الآن أن نبدأ • أما الجثة فقد اهتم بها موظفون من تحقيق الجنايات ، يلبسون ملابس مدنية وهم شبان هادئون لطاف ، قد تناولوا نصيبهم من النبيذ الأبيض الذى تفوح منهم رائحته • انهم يقيسون ، ويأخذون بصمات ، الخ • وفى وسط قاعة الاستقبال يقف مفتش التحقيقات الجنائية رتشرد فوس ، لابسا قبعة وعليه معطف ، وعلى اليسار رئيسة الممرضات مارتا بول ، وتبدو عليها أمارات التصميم والحزم كما يدل على ذلك اسمها وهى بالفعل كذلك • وعلى الكرسى عن يمين فى الخارج يجلس شرطى يكتب بالاختزال • مفتش التحقيقات الجنائية يلتقط سيجارا من علبة سمراء •

المفتش : أظن أن التدخين مسموح به ؟

رئيسة الممرضات : لم تجر العادة بذلك .

المفتش : معذرة !

(يعيد السيجار الى العلبة)

رئيسة الممرضات : هل تريد قدحا من الشاى ؟

المفتش : أفضل خمرا .

رئيسة الممرضات : انك فى مصحة !

المفتش : اذن لن أتناول شيئا . يا بلوخر ! تستطيع أن تصور .

بلوخر : نعم ، ياسيدى المفتش . (تؤخذ صور شمسية . اضاءة خاطفة) .

المفتش : ما اسم الممرضة ؟

رئيسة الممرضات : ايرينه اشتراوب .

المفتش : وعمرها ؟

رئيسة الممرضات : اثنتان وعشرون سنة . وهى من بلدة كولفانج .

المفتش : وأقاربها ؟

رئيسة الممرضات : لها أخ فى شرقى سويسرة .

المفتش : كيف تم التبليغ ؟

رئيسة الممرضات : هاتفيا .

المفتش : والقاتل ؟

رئيسة الممرضات : أرجوك يا سيدى المفتش — ان الرجل المسكين مريض !

المفتش : حسنا اذن ، لنقل : الفاعل ؟

رئيسة الممرضات : ارنست هينرش ارنستى . ونحن نسميه اينشتين .

المفتش : لمــاذا ؟

رئيسة الممرضات : لأنه يحسب نفسه اينشتين .

المفتش : آه ، هكذا . (يتلفت ناحية الشرطى الذى يكتب اختزالا) .

المفتش : هل سجلت أقوال رئيسة الممرضات ، يا جول ؟

جول : نعم ، يا سيدى المفتش .

المفتش : مخنوقة ، يا دكتور ؟

الطبيب الشرعى : بكل وضوح . خنقت بحبل المصباح ذى الأرجل. ان هؤلاء المجانين يمتلكون أحيانا قوى جبارة . انه لأمر عجيب .

المفتش : هكذا . هل هذا رأيك ؟ اذن فمن رأيى أنه من غير الجائز ترك هؤلاء المجانين فى رعاية ممرضات . هذا ثانى حادث قتل .

رئيسة الممرضات : أرجوك ياسيدى المفتش !

المفتش : المفتش : ثانى حادث أليم فى خلال ثلاثة أشهر بمصحة « الكرز » .

(يخرج كتيب مذكرات)

المفتش : المفتش : فى اليوم الثانى عشر من شهر أغسطس خنق المدعو هربرت جورج بويتلر ، الذى كان

يحسب نفسه العالم الطبيعى العظيم نيوتن ، خنق المرضة دوروتيه موزر .

(يعيد كتيب المذكرات الى جيبه)

المفتش : هنا فى هذه القاعة نفسها . لو كان هنا ممرضون لما حدث شيء مثل هذا أبدا .

رئيسة الممرضات : أتعتقد ذلك ؟ ان الممرضة دوروتيه موزر كانت عضوا فى اتحاد المصارعة للسيدات ، والممرضة ايرينه اشتراوب كانت الرئيسة الاقليمية للاتحاد الأهلى للمصارعة اليابانية .

المفتش : وأنت ؟

رئيسة الممرضات : أنا أرفع الأثقال .

المفتش : هل يمكننى الآن أن أرى القاتل ؟

رئيسة الممرضات : أرجوك ، يا سيدى المفتش !

المفتش : ... أن أرى الفاعل ؟

رئيسة الممرضات : انه يعزف على الكمان .

المفتش : ما معنى هذا : يعزف على الكمان ؟

رئيسة الممرضات : ها أنت ذا تسمع عزفه .

المفتش : اذن عليه أن يتوقف ، أرجوك .

(رئيسة الممرضات لاتجيب)

المفتش : علىّ أن أستجوبه .

رئيسة الممرضات : هذا غير ممكن .

المفتش : لمـاذا ؟

رئيسة الممرضات : لا نستطيع أن نسمح طبيا بهـذا . ان السيد ارنستى يجب أن يعزف الآن على الكمان .

المفتش : على كل حال هـذا الرجـل قد خنق احـدى الممرضات .

رئيسة الممرضات : يا سيدى المفتش ! ان الأمر لا يتعلق برجل ما ، بل بانسان مريض ، يجب أن يستعيد هدوءه . ولأنه يحسب نفسه اينشتين فانه لا يهدأ الا اذا عزف على الكمان .

المفتش : هل أنا فعلا مجنون ؟

رئيسة الممرضات : كلا !

المفتش : لقد اختلط الحابل بالنابل .

(يجفف عرقه)

المفتش : الجو هنا حار .

رئيسة الممرضات : أبدا .

المفتش : يا رئيسة الممرضات مارتا ! من فضلك أحضرى رئيسة الأطباء .

رئيسة الممرضات: غير ممكن . فان الآنســة الدكتورة تصاحب اينشتين على البيان ، ان اينشتين لا يهدأ الا اذا صاحبته الآنسة الدكتورة ، فى العزف .

المفتش : وقبل ثلاثة أشهر كان على الآنسة الدكتورة أن تلعب الشطرنج مع نيوتن حتى يستطيع الهدوء . أنا لا أوافق على هذا ، يا رئيسة الممرضات مارتا ! يجب ببساطة أن أتكلم مع رئيسة الأطباء .

رئيسة الممرضات: أرجوك ! اذن انتظر .

المفتش : الى متى يستمر العزف ؟

رئيسة الممرضات: ربع ساعة ، ساعة ، الأمر يتوقف .

(المفتش يكظم غيظه)

المفتش : حسنا . ولأنتظر .

(يغمغم غاضبا قلقا)

المفتش : سأنتظر !

بلوخر : كنا سننتهى يا سيدى المفتش .

المفتش : (متجهما) والآن هم يريدون أن يرهقونى !

(صمت . المفتش يجفف عرقه)

المفتش : يمكنكم أن تنقلوا الجثة .

بلوخر : حاضر ، يا سيدى المفتش .

رئيسة الممرضات : سأدل السيد على الطريق خلال الحـــديقة الى الكنيسة .

(تفتح الباب المجنح • تحمل الجثة • وكذلك الأدوات • المفتش يخلع قبعته ، ثم يجلس منهوكا على الكرسى على شمال الأريكـــة • لايزال يسمع عزف الكمان بمصاحبة البيان. ثم يخرج من الحجرة رقم ٣ هربرت جيورج بويتلر بملابس مستهل القرن الثامن عشر وعليه شعر مستعار)

نيوتن : السير اسحق نيوتن .

المفتش : مفتش التحقيقات الجنائية رتشرد فوس .

(يظل جالسا)

نيوتن : هذا يسرنى ، يسرنى جدا . حقا . لقــد سمعت ضـــجة ونواحا وحشرجة ، ثم ناسا يجيئـــون ويذهبون . هل تسمح لى أن أسأل : ماذى جرى؟

المفتش : لقد خنقت الممرضة ايرينه اشتراوب .

نيوتن : الرئيسة الاقليمية للاتحاد الأهلى للمصـــارعة اليابانية ؟

المفتش : نعم ، الرئيسة الاقليمية .

نيوتن : هذا فظيع .

المفتش : وقد خنقها ارنست هينرش ارنستى .

نيوتن : ولكنه يعزف على الكمان الآن .

المفتش : يجب أن يستعيد هدوءه .

نيوتن : ولابد أن الصراع قد أجهده . انه نحيف . لكن بماذا ... ؟

المفتش : بحبل المصباح ذى الأرجل .

نيوتن : بحبل المصباح ذى الأرجل . هذا أيضا ممكن . ارنستى هـذا ! انه يبعث الشـفقة فى نفسى . عجيب . وكذلك رئيسة المصارعات تبعث الشفقة فى نفسى . تسمح لى ؟ لابد أن أرتب .

المفتش : تفضل ! فقد تمت كتابة المحضر .

(نيوتن يعدل المنضدة والكراسى)

نيوتن : انى لا أحتمل عـدم النظام . والواقع أننى لم أصبح عالما فى الطبيعة الا بفضل حبى للنظام .

(يعدل المصباح ذا الأرجل)

نيوتن : من أجل رد عدم النظام الظاهر فى الطبيعة الى نظام أعلى .

(يشعل سيجارة لنفسه)

نيوتن : هل يضايقك أن أدخن ؟

المفتش : (بتودد) بالعكس ، انى ...

(يريد أن يخرج سيجارا من علبة)

نيوتن : اسمح لى ، ما دمنا كنا نتحدث عن النظام : هنا لا يحق لأحد التدخين الا المرضى ، لا الزوار . والا لاختنق جو القاعة كلها .

المفتش : أنا فاهم .

(يعيد السيجار الى العلبة)

نيوتن : هل يضايقك أن أتناول قدحا من الكونياك ؟

المفتش : أبدا .

(نيوتن يحضر من وراء ستارة المدخنة الحديدية زجاجة كونياك وقدحا)

نيوتن : ارنستى هذا ! انى فى غاية التأثر . كيف يتأتى لانسان أن يخنق ممرضة ؟!

(يجلس على الأريكة ، ويصب لنفسه كأسا من الكونياك)

المفتش ولكنك أنت أيضا خنقت ممرضة !

نيوتن : أنا ؟

المفتش : الممرضة دوروتيه موزر .

نيوتن : المصارعة ؟

المفتش : فى اليوم الثانى عشر من شهر أغسطس ، بحبل الستائر .

نيوتن : لكن هذا أمر مختلف تماما ياسيدى المفتش . اننى لست مجنونا . على صحتك !

المفتش : على صحتك .

(نيوتن يشرب)

نيوتن : الممرضة دوروتيه موزر ! حينما أتذكر ذلك ! شقراء كعود القش . قوية قوة غير عادية . مرنة رغم امتلاء بدنها . كانت تحبنى وكنت أنا أحبها. ولم يكن ثم حل لهذه المشكلة العويصة الا بحبل الستائر .

المفتش : مشكلة عويصة ؟

نيوتن : ان واجبى هو التفكير فى الجاذبيـــة الأرضية ، لا أن أحب امرأة .

المفتش : فاهم .

نيوتن : وانضاف الى ذلك ، الفارق الهائل بيننا فى السن .

المفتش : بكل تأكيد . ان عمرك أكثر من مائتى سنة .

(نيوتن يحدق فيه مندهشا)

نيوتن : وكيف كان ذلك ؟

المفتش : بما أنك نيوتن ..

نيوتن : هل أنت مغفل يا سيدى المفتش ، أو أنت تتظاهر بذلك فقط ؟

المفتش : اسمع ..

نيوتن : هل تعتقد حقا أننى نيوتن ؟

المفتش : أنت نفسك تعتقد ذلك .

(نيوتن يتلفت مستريبا)

نيوتن : هل أفضى لك بسر يا سيدى المفتش ؟

المفتش : تفضل ، طبعا .

نيوتن : أنا لست السير اسحق . ولكنى أترك النـاس يظنون أننى نيوتن ، وأوهمهم ذلك .

المفتش : ولماذا ؟

نيوتن : حتى لا يتشوش عقل ارنستى .

المفتش : أنا لا أفهم !

نيوتن : ان ارنستى فعلا مريض ، بعكسى أنا . انه يتصور أنه ألبرت اينشتين .

المفتش : وما شأنك بهذا ؟

نيوتن : لو أدرك ارنستى أننى أنا ألبرت اينشتين فعلا ، لانطلق العفريت من عقاله .

المفتش : أتريد بهذا أن تقول ...

نيوتن : نعم ! ان عالم الطبيعة الشهير ومؤسس نظرية النسبية هو أنا ، أنا . وقد ولدت فى ١٤ مارس سنة ١٨٧٩ فى مدينة أولم .

(المفتش ينهض حائرا)

المفتش : تشرفت ..

(نيوتن ينهض أيضا)

نيوتن : نادنى فقط باسم ألبرت .

المفتش : وأنت فلتنادنى باسم رتشرد .

(يتصافحان بالأيدى)

نيوتن : ينبغى أن أؤكد لك أننى أستطيع أن أعزف سوناتا الكرويتسر على نحو أبرع جدا مما يفعل ارنست هينرش ارلستنى . انه يعزف حركة الأولى (أنداتنه) بطريقة بدائية .

المفتش : انى لا أفهم شيئا فى الموسيقى .

نيوتن : فلنجلس !

(يجره الى الأريكة . نيوتن يضع ذراعه على كتف المفتش)

نيوتن : رتشرد !

المفتش : ألبرت ؟

نيوتن : أليس صحيحا أنك متضايق لأنك لم تستطع حبسى ؟

المفتش : لكن يا ألبرت .

نيوتن : هل تريد أن تحبسنى لأنى خنقت الممرضة ، أو لأنى هيأت السبيل لصنع القنبلة الذرية ؟

المفتش : لكن يا ألبرت .

نيوتن : اذا أنت أدرت الزر الذى هناك بجانب الباب ، فماذا يحدث يا رتشرد ؟

المفتش : يضىء النور .

نيوتن : أنت بهذا تهيىء اتصالا كهربيا . هل تفهم شيئا فى الكهرباء يا رتشرد ؟

المفتش : أنا لست عالما فى الطبيعة .

نيوتن : وأنا أيضا لا أفهم فيها كثيرا . انى أضع نظرية فى الكهرباء على أساس ملاحظة الطبيعة . وهذه النظرية أصوغها فى صيغة رياضية فأحصل بذلك على عدة صيغ . وبعد ذلك يأتى أهل الصناعة الفنية . انهم لا يهتمون الا بالصيغ الرياضية . انهم يعاملون الكهرباء معاملة « البلطجى »

للمومس . انهم يستغلونها . يركبــون آلات ، والآلة لا تكون صــالحة للاســتعمال الا اذا انفصلت عن المعــرفة العلميــة التى أدت الى اختراعها . ولهذا نجد أن أى حمــار يمكن أن يشعل مصباحا كهربيا — أو يفجر قنبلة ذرية ..

(يربت على كتف المفتش)

نيوتن : والآن أنت تريد أن تحبســنى لهــذا السبب يا رتشرد . ليس هذا من العدل فى شيء .

المفتش : أنا لا أريد أبدا أن أحبسك ، يا ألبرت .

نيوتن : فقط لأنك تظن أننى مجنــون . لكن ، لمــاذا لا تكف عن اشعال النور ، اذا كنت لا تفهــم شيئا فى الكهرباء ؟ أنت هنا المجرم يا رتشرد . بيد أنه يجب علىّ الآن أن أضع الكونياك فى مكانه ، والا ثارت ثائرة رئيســة الممرضـــة مارتا بول .

(نيوتن يعيد زجاجة الكونياك الى مكانهـا خلف ستارة المدخنة الحديدية ولكنه يحتفظ بالقدح)

نيوتن : وداعا .

المفتش : وداعا يا ألبرت .

نيوتن : يجب عليك أن تحبس نفسك بنفسك ، يارتشردا

(يذهب ويختفى فى الحجرة رقم ٣)

المفتش : والآن سأدخن .

(يأخذ سيجارا من العلبة ، ويشعله ، ويبدأ التدخين . ومن الباب ذى الجناحين يدخل بلوخر)

بلوخر : نحن مستعدون للرحيل ، يا سيدى المفتش .

(المفتش يضرب الأرض بقدميه)

المفتش : انى أنتظر ، أنتظر رئيسة الأطباء !

بلوخر : حاضر ، يا سيدى المفتش .

(المفتش يهدأ ، ويغمغم)

المفتش : عد برجالنا الى المدينة يابلوخر . وسألحق بكم فيما بعد .

بلوخر : سمعا وطاعة ، يا سيدى المفتش .

(يخرج بلوخر)

(المفتش يدخن بشدة ، ينهض ، ويتحرك متضايقا فى القاعة ، يتوقف أمام الصورة المعلقة فوق المدخنة ويتطلع فيها . وفى تلك الأثناء يتوقف العزف على الكمان والبيان :

وباب الحجرة رقم ٢ يفتح ، وتخرج منه الآنسة الدكتورة ماتيلده فون اتساند . حدباء ، عمرها حوالى خمس وخمسين سنة، تلبس معطف الأطباء الأبيض ، ومعها سماعة)

الآنسة الدكتورة : هذا أبى ، المستشار أوجست فون اتساند . كان يسكن هذه « الفلا » قبل أن أحولها الى مصحة. كان رجلا عظيما ، وكان انسانا حقا . وأنا ابنته الوحيدة . كان يكرهنى كراهيته للطاعون ، وعلى العموم كان يكره الناس جميعا كراهية الطاعون. ولعل له الحق فى ذلك ، لقد انفتحت أمامه ، بوصفه رجل أعمال ، أغوار السانية تجهلها نحن علماء الأمراض العقلية جهلا تاما . اننا نحن أطباء الأمراض العقلية سنظل دائما محبين للانسانية رومنتيكيين لا رجاء لنا ولا أمل .

المفتش : قبل ثلاثة أشهر كانت هنا صورة غير هذه .

الآنسة الدكتورة : كانت صورة عمى ، الرجل السياسى ، المستشار يواقيم فون اتساند .

(تضع كتاب الموسيقى على المنضدة الصغيرة الموجودة أمام الأريكة)

الآنسة الدكتورة : نعم ، لقد هدأت نفس ارنستى . وألقى بنفسه على السرير ونام ، كطفل سعيد . الآن أستطيع أن آخذ نفسي . كنت أخشى أن يعزف سوناتا برامز الثالثة أيضا .

(تجلس على الكرسى القائم عن يسار الأريكة)

المفتش : اعذرينى يا آنستى الدكتورة فون اتساند اذا كنت أدخن هنا ، مع أن التدخين ممنوع ، ولكن ...

الآنسة الدكتورة : دخن كما يحلو لك ، أيها المفتش . وأنا أيضا فى حاجة شديدة الى تدخين سيجارة ، مهما تقل رئيسة الممرضات مارتا . أعطنى نارا .

(يعطيها نارا ، وتدخن)

الآنسة الدكتورة : فظيع ! ايرينه المسكينة ! هذه المخلوقة الشابة النظيفة !

(تلاحظ القدح)

الآنسة الدكتورة : نيوتن ؟

المفتش : كان لى الشرف ..

المفتش : يحسن أن أبعد القدح .

(يتقدم نحوها المفتش ويضع القدح خلف ستارة المدخنة الحديدية)

الآنسة الدكتورة : بسبب رئيسة الممرضات .

المفتش : أنا فاهم .

الآنسة الدكتورة : هل تحدثت مع نيوتن ؟

المفتش : لقد اكتشفت شيئا .

(يجلس على الأريكة)

الآنسة الدكتورة : أهنئك على ذلك .

المفتش : ان نيوتن يعتقد أيضا أنه هو اينشتين فعـلا .

الآنسة الدكتورة : هو يقول ذلك لكل الناس . والحق أنه يعتقد أنه هو نيوتن .

المفتش : (متحيرا) هل أنت واثقة ؟

الآنسة الدكتورة : انى أعرف جيدا ماذا يعتقد مرضاى أنفسهم . وأنا أعرفهم خيرا مما يعرفون أنفسهم بمراحل عـديدة .

المفتش : ممكن . وعليك اذن أن تساعـدينا ، يا آنستى الدكتورة . فان الحكومة مهتمة .

الآنسة الدكتورة : النائب العام ؟

المفتش : انه يزمجر .

الآنسة الدكتورة : وأنا أولى الأمر اهتمامى ، يا فوس .

المفتش : جريمتا قتل ..

الآنسة الدكتورة : أرجوك أيها المفتش !

المفتش : حادثان أليمان . فى خلال ثلاثة أشهر . ينبغى أن توافقينى على أن اجـــراآت الأمن فى مصحتك ليست كافية .

الآنسة الدكتورة : كيف تتصور اذن هذه الاجراآت ، أيها المفتش ؟ انى أدير مصحة ، لا ليمانا . وأنت لا تستطيع أن تسجن القاتلين قبل أن يرتكبوا جريمة القتل .

المفتش : ان الأمر ليس أمر قتلة ، بل أمر مجانين ، وهؤلاء يستطيعون فى أى وقت أن يقتلوا .

الآنسة الدكتورة : والأصحاء أيضا ، وفى معظم الأحوال . انى حينما أتذكر جدى ليونيداس فون اتساند ، الجنرال فيلد مارشال وحربه التى خسرها . فى أى عصر نعيش اذن ؟ هل تقدم الطب ، أو لم يتقدم ؟ هل فى متناولنا وسائل جديدة أولا ، أدوية ، يمكنها أن تحول العتاة الى حملان وديعة ؟ أو يجب علينا بعد أن نغلق على المرضى فى داخل زنزانات

مفردة ، وفى شباك وبأيديهم قفازات ملاكمة ، كما كانت الحال فيما مضى ؟ أليس فى وسعنا أن نميز بين المرضى الخطرين وغير الخطرين ؟!

المفتش : هذه القدرة على التمييز قد أعوزت تماما فيما يتصل ببويتلر وارنستى .

الانسة الدكتورة : مع الأسف . هذا هو ما يقلقنى أنا ، لا تأنيبك العام الثائر الغاضب .

(من الحجرة رقم ٢ يأتى اينشتين ومعه كمانه · هزيل ، وشعره أبيض كالثلج طويل ، وله شارب)

اينشتين : لقد استيقظت .

الانسة الدكتورة : ولكن ، يا أستاذ .

اينشتين : هل كان عزفى جميلا ؟

الانسة الدكتورة : عظيم ، يا أستاذ .

اينشتين : هل الممرضة ايرينه اشتراوب ..

الانسة الدكتورة : لا تفكر بعد فى هذا يا أستاذ .

اينشتين : سأعود للنوم .

الانسة الدكتورة : هذا جميل ، يا أستاذ .

(اينشتين يعود الى حجرته · المفتش يقفز)

المفتش : اذا كان هذا هو !

الآنسة الدكتورة : ارنسبت هينرش ارنستى .

المفتش : القــاتل ...

الآنسة الدكتورة : أرجوك ، أيها المفتش .

المفتش : الفاعل ، الذى يعتقد فى نفسه أنه اينشتين .
متى أدخل المصحة ؟

الآنسة الدكتورة : منذ عامين .

المفتش : ونيوتن ؟

الآنسة الدكتورة : منذ عام .

الآنسة الدكتورة : وكلاهما لا سبيل الى شفائه . يا فوس ، يعلم الله
انى لست ناشئة فى مهنتى هذه ، وأنتم تعلمون
ذلك جيدا وكذلك يعلمه النــائب العــام وهو
يقدر عملى دائما . ان مصحتى ذات شهرة عالمية ،
وغالية نسبيا . انى لا أسمح بوقوع أخطاء ،
والأحداث التى تأتى بالشرطة الى المصحة لم يقع
أبدا منها شىء . فاذا كان هنا نقص ، فمرده الى
الطب ، لا الىّ أنا . وهذه الحوادث لم يكن من
الممكن توقعها ، ومن الممكن أن أختنق أنا أو أنت

احدى الممرضات . ولا يوجد طبيا تفسير لما حدث . والا ...

(أخذت سيجارة ثانية · المفتش يعطيها نارا)

الآنسة الدكتورة : أيها المفتش ، ألم يثر دهشتك شيء ؟

المفتش : من أية ناحية ؟

الآنسة الدكتورة : فكر فى كلا المريضين .

المفتش : واذن ؟

الآنسة الدكتورة : كلاهما عالم طبيعة ، طبيعة نووية . .

المفتش : ثم ماذا ؟

اينشتين : انك حقا رجل خلو من الشكوك ، أيها المفتش .

(المفتش يفكر)

المفتش : يا آنستى الدكتورة !

الآنسة الدكتورة : فوس !

المفتش : هل تعتقدين .. ؟

الآنسة الدكتورة : كلاهما يبحث فى المواد ذات النشاط الاشعاعى .

المفتش : هل تظنين أن ثمت ارتباطا ؟

الآنسة الدكتورة : انى أسجل هذا ، فحسب ؛ هذا كل ما فى الأمر . كلاهما أصابه الجنون ، ومرضه يزداد سوءا ،

وكلاهما خطر على الناس ، وكلاهما خنق ممرضة.

المفتش : هل تعتقدين .. أنه قد حدث تغير فى المخ بتأثير النشاط الاشعاعى ؟

الآنسة الدكتورة : ينبغى أن أمعن النظر فى امكان هذا .

(المفتش يتلفت حواليه)

المفتش : الى أين يقتاد هذا الباب ؟

الآنسة الدكتورة : الى البهو ، الى الصالون الأخضر ، الى الطابق العـــلوى .

المفتش : كم عدد المرضى هنا الآن ؟

الآنسة الدكتورة : ثلاثة .

المفتش : فقط ؟

الآنسة الدكتورة : لقد نقل الباقون بعد الحادث الأليم الأول الى البيت الجديد . ولحسن الحظ كنا قد فرغنا من بناء المبنى الجديد . وســاهم فى ذلك المرضى الأغنياء وكذلك أقاربى الذين ماتوا ، وأكثرهم ماتوا هنا . وأنا وريثتهم الوحيدة . قضاء وقدر ، يا فوس . انى دائما الوارثة الوحيدة . ان أسرتى قد بلغ بها الكبر الى حد أنه من معجزات الطب

أنى نسبيا سليمة ، أقصد فيما يتعلق بصحتى العقلية .

(المفتش يفكر)

المفتش : والمريض الثالث ؟

الآنسة الدكتورة : هو عالم طبيعة أيضا .

المفتش : عجيب . أليس كذلك ؟

الآنسة الدكتورة : لا أرى فى هذا عجبا ، فانى أرتبهم : الكتاب مع الكتاب ، وكبار رجال الصناعة مع كبار رجال الصناعة ، وأصحاب الملايين مع أصحاب الملايين ، وعلماء الطبيعة مع علماء الطبيعة .

المفتش : ما اسمه ؟

الآنسة الدكتورة : يوهان ڤلهلم موبيوس .

المفتش : هل له شأن بالنشاط الاشعاعى ؟

الآنسة الدكتورة : كلا !

المفتش : هل يمكنه هو الآخر ... ؟

الآنسة الدكتورة : انه هنا منذ خمسة عشر عاما ، لا يؤذى أحدا ، وقد ظلت حالته كما هى بدون تغيير .

المفتش : يا آنستى الدكتورة ، انك بهذا لا تحكمين شئونك . ان النائب العام يحتم عليك أن

تستعينى بممرضين للعناية بعلمائك فى الطبيعة هؤلاء .

الآنسة الدكتورة : سنأتى بهم .

(المفتش يأخذ قبعته)

المفتش حسنا ، يسرنى أن تتبينى هذا . لقد جئت الى مصحة « الكرز » هنا مرتين ، يا آنستى الدكتورة فون اتساند . وأرجو ألا أعود اليها مرة ثالثة .

(يضع قبعته على رأسه ، ويمضى عن شمال من خلال الباب ذى الجناحين الى الشرفة (التراس) . يتباعد من خلال الحديقة . والآنسة الدكتورة ماتيلدة فون اتساند تنظر اليه مفكرة . وعن يمين تدخل رئيسة الممرضات مارتا بول ، مترددة ، تتنشق مخاطها ، وفى يدها اضبارة)

رئيسة الممرضات : من فضلك يا آنستى الدكتورة ..

الآنسة الدكتورة : أوه ، معذرة !

(تطفىء السيجارة بيدها)

الآنسة الدكتورة : هل سجيت الممرضة ايرينه اشتراوب على نعشها؟

رئيسة الممرضات : نعم تحت الأورغن .

الآنسة الدكتورة : ضعى شموعا وأكاليل حولها .

رئيسة الممرضات : لقد خاطبت فعلا محل فويتس للأزهار .

الآنسة الدكتورة : كيف حال عمتى سنتا ؟

رئيسة الممرضات : مضطربة .

الآنسة الدكتورة : ضاعفى الجرعة . وحال ابن عمى ألرش ؟

رئيسة الممرضات : بلا تغيير ، كما هى .

الآنسة الدكتورة : يا رئيسة الممرضات مارتا بول ! أنا مضطرة مع الأسف أن أوقف تقليدا جرت عليه مصحة « الكرز » . فحتى الآن لم أكن أعين فيها غير ممرضات ، ولكن ابتداء من الغد سيتولى ممرضون أمر الفلا .

رئيسة الممرضات : يا آنستى الدكتورة ماتيلده فون أتساند ! لن أسمح لأحد بأن يسلبنى علماء الطبيعة الثلاثة ، ان حالاتهم شائقة للغاية .

الآنسة الدكتورة : ان قرارى نهائى .

رئيسة الممرضات : أود أن أعرف من أين يأتون بالممرضين فى هذه الأيام التى كثرت فيها الأعمال وقل الرجال .

الآنسة الدكتورة : دعينى أتول أنا هذا الأمر . — هل وصلت أسرة موبيوس ؟

رئيسة الممرضات : انها تنتظر فى الصالون الأخضر .

الآنسة الدكتورة : فليتفضلوا .

رئيسة الممرضات : هذا هو التاريخ المرضى لأسرة موبيوس .

الآنسة الدكتورة : شكرا .

(رئيسة الممرضات تعطيها الاضبارة ، ثم تذهب ناحية الباب عن يمين، بيد أنها تعود)

رئيسة الممرضات : لكن ..

الآنسة الدكتورة : من فضلك يا رئيسة الممرضات مارتا ، من فضلك.

(رئيسة الممرضات تذهب. الآنسة الدكتورة فون اتساند تفتح الاضبارة وتأخذ فى مطالعتها على المنضدة المستديرة . وفى ناحية اليمين رئيسة الممرضات تقتاد السيدة روزا وثلاثة أولاد أعمارهم : أربع عشرة وخمس عشرة وست عشرة سنة ، وأكبرهم يحمل حقيبة أوراق . ومن خلفهم المبشر روز . الآنسة الدكتورة تنهض)

الآنسة الدكتورة : عزيزتى السيدة موبيوس ..

السيدة روز : روز . السيدة زوجة المبشر روز . هذه مفاجأة كبيرة قاسية لك ياآنستى الدكتورة ، لكنى تزوجت المبشر روز منذ ثلاثة أسابيع . ربما كان ذلك فى

شيء من التعجل ، ولكننا تعارفنا فى شهر سبتمبر أثناء أحد الاجتماعات .

(تحمر خجلا وتشير الى زوجها باشـــــارة حزينة عاجزة)

السيدة روز : كان أوسكار أرمل .

(الآنسة الدكتورة تصافحها)

الآنسة الدكتورة : أهنئك يا سيدة روز ، أهنئك من أعماق قلبى . وأهنئك أنت أيضا يا ســيدى المبشر وبالرفاء والبنين .

(تنحنى له)

السيدة روز : أنت تفهمين السبب فى حضورنا !

الآنسة الدكتورة : طبعا ، يا سيدة روز . الحياة فى حاجة الى ازدهار مستمر .

المبشر روز : ما أجمل الهــدوء هنا ! وما أحب المكان ! ان سلام الله الحق يسود فى هذا البيت ، تماما كما ورد فى المزامير : « لأن الرب يسمع دعاء الفقراء ولا يترفع عن المحبوسين » .

السيدة روز : ان اوسكار واعظ ممتاز ، يا آنستى الدكتورة .

(تحمر خجلا)

السيدة روز : أولادى .

الآنسة الدكتورة : أهلا يا أولاد .

جول : السلام عليك يا دكتورة .

(الأصغر يلتقط شيئا من الأرض)

يورج لوكاس : جبل مصباح ، يا آنستى الدكتورة . كان على الأرض .

الآنسة الدكتورة : شكرا يا ولدى الصغير . أولاد ممتازون ، يا سيدة روز . يحق لك أن تتطلعى الى المستقبل بثقة .

(السيدة قرينة المبشر روز تجلس على الأريكة عن يمين ، والآنسة الدكتورة عند المنضدة عن يسار . ووراء الأريكة الأولاد الثلاثة ، وعلى الكرسى ناحية اليمين خارجا يجلس المبشر روز) .

السيدة روز : يا آنستى الدكتورة ! انى لم آت بأولادى هنا من غير سبب . فأوسكار سيقضى فترة تدريب على التبشير فى جزر ماريان .

المبشر روز : فى المحيط الهادىء .

السيدة روز : وأرى من المناسب أن يعرف الأولاد أباهم قبل أن يرحلوا ، للمرة الأولى والأخيرة ، اذ كانوا

لا يزالون صغارا لما أن مرض ، وربما كان ذلك هو الوداع الأخير .

الآنسة الدكتورة : يا سيدة روز ! من الناحية الطبية ربما توجد بعض الاعتبارات ، لكن من الناحية الانسانية أرى أن رغبتك هذه مفهومة وأسمح بهذه الزيارة العائلية عن طيب خاطر .

السيدة روز : كيف حال عزيزى يوهان ڤلهلم ؟

(الآنسة الدكتورة تتصفح الاضبارة)

الآنسة الدكتورة : ان موبيوس الطيب لا يتقدم صحيا ولا يتأخر ، يا سيدة روز : انه منطـو فى عالمه كالدودة فى الفيلجة .

السيدة روز : هل لا يزال يتوهم أن الملك سليمان قد تجلى له ؟

الآنسة الدكتورة : نعم لا يزال !

المبشر روز : اختلال مؤلم جدير بالرثاء له .

الآنسة الدكتورة : حكمك الشديد يدهشنى شيئا ما ، يا سيدى المبشر روز . وأنت بوصفك عالما باللاهوت ينبغى عليك أن تحسب حسابا لامكان حدوث معجزة .

المبشر روز : طبعا مفهوم — لكن لا عند مصاب فى عقله .

الآنسة الدكتورة : هل الظـواهر التى يدركها المصابون بالأمراض

العقلية حقيقية ، أو غير حقيقية — هذا أمر لم يستطع الطب العقلى أن يفصل فيه بعد ، ياعزيزى المبشر روز . انه لا يعنى الا بحال النفس والأعصاب ، وصاحبنا الرجل الطيب موبيوس عنده الكفاية من هذه الحال ، وان كان مرضه قد اتخذ مسلكا هادئا . هل ثمت أمل ؟ يا الهى ! أنا أسلم بأنه كان من الممكن اعطاؤه علاجا بالانسولين ، لكن لأن أنواع العلاج الأخرى لم تأت بنتيجة ، لم أستعمل الانسولين . اننى مع الأسف لا أستطيع السحر ، يا سيدة روز ، ولا أملك أن أمنح الصحة لموبيوس الرجل الطيب ، لكننى لا أريد أيضا أن أعذب نفسى فى سبيل علاجه .

السيدة روز : هل يعرف أنى — أقصد هل يعرف شيئا عن الطلاق ؟

الآنسة الدكتورة : نعم عرف .

السيدة روز : هل أدرك ذلك ؟

الآنسة الدكتورة : انه لا يكاد يهتم بالعالم الخارجى . .

السيدة روز : يا آنستى الدكتورة ! افهمينى جيدا . انى أكبر من يوهان ڤلهلم بخمس سنوات . لقد عرفتـه طالبا فى سن الخامسة عشرة ، وكان يسكن فى غرفة السقف فى بيت والدى . كان يتيما فقيرا بائسا . ولقد ساعدته حتى استطاع الحصول على البكالوريا ثم دراسة الفزياء بعد ذلك . وفى يوم عيد ميلاده العشرين تزوجنا ، ضـد رغبة أهلى. وكنا نعمل ليلا ونهارا . كان يكتب رسالة، وأنا التحقت بوظيفة فى شركة نقل . وبعد أربع سنوات رزقنا بأدولف فريدرش ، ابننا الأكبر ، ثم رزقنا بعد ذلك بالولدين الأخيرين . وأخيرا شغرت وظيفة أستاذ ، فاعتقدنا أن المستقبل قد أشرق لنا ، وهنا مرض يوهان ڤلهلم ، وكلفنا مرضه مبالغ طائلة جدا . فالتحقت أنا بمصـنع شوكولاته ، لأعول أسرتنا ، مصنع توبلر .

(تمسح دموعها فى هدوء)

السيدة روز : لقد أجهدت نفسى اجهادا طويلا .

(الكل يتأثرون)

الآنسة الدكتورة : يا سيدة روز ، أنت امرأة شجاعة .

المبشر روز : وأم طيبة .

السيدة روز : يا آنستى الدكتورة ! لقد هيأت ليوهان ڤلهلم الاقامة فى مصحتك حتى الآن . وكانت النفقات فوق طاقتى بكثير ، ولكن الله كان دائما فى العون . أما الآن فقد استنفدت طاقتى المالية ، ولم يعد فى وسعى أن أقدم المال الاضافى اللازم لذلك .

الآنسة الدكتورة : مفهوم يا سيدة روز .

السيدة روز : وأخشى أن تظنى أننى لم أتزوج أوسكار الا من أجل أن أتوقف عن الانفاق على يوهان ڤلهلم ، يا آنستى الدكتورة . كلا هذا غير صحيح . فالأمر قد ازداد مصاعب بالنسبة الىّ ، لأن أوسكار دخل علىّ بستة أولاد .

الآنسة الدكتورة : ستة ؟

المبشر روز : نعم ستة .

السيدة روز : ستة . ان أوسكار والد متحمس . أصبح لدينا الآن تسعة أولاد لاطعامهم ، وأوسكار ليس فى صحة ممتازة تماما ، ومرتبه ضئيل .

(تبكى)

الآنسة الدكتورة : كفى عن هذا يا سيدة روز ، كفى ، لا تبكى .

السيدة روز : انى ألوم نفسى أشد اللوم ، لأنى تركت يوهان ڤلهلم المسكين .

الآنسة الدكتورة : يا سيدة روز ! لا داعى للحزن .

السيدة روز : يوهان ڤلهلم سيوضع قطعا فى مصحة حكومية .

الآنسة الدكتورة : لكن لا ، يا سيدة روز . سيبقى موبيوس الشهم فى هذه « الڤلا » هنا . كلمة شرف ! لقد ألف هذا المكان ووجد فيه زملاء أعزاء طيبين . وأنا على كل حال لست غير انسانية .

السيدة روز : أنت طيبة معى يا آنستى الدكتورة .

الآنسة الدكتورة : أبدا يا سيدة روز ، أبدا . هناك مؤسسات للاعانات ، فهناك مؤسسة أوپل للعلماء المرضى ، ومؤسسة الدكتور اشتينمان . ان الأموال كثيرة كالتراب ، ومن واجبى بوصفى طبيبة أن أحصل منها على ما يكفى للانفاق على عزيزك يوهان ڤلهلم . وعليك اذن أن تبحرى الى جزر ماريان وأنت مستريحة الضمير . والآن فلنحضر موبيوس العزيز .

(تذهب الى الداخل وتفتح باب الحجرة رقم ١ . السيدة روز تنهض مهتاجة)

الآنسة الدكتورة : عزيزى موبيوس ! عنــدك زائرون . فاترك
موسوعة عالم الطبيعة وتعال .

(من الحجرة رقم ١ يأتى يوهان ڤلهـــلم
موبيوس ، هو رجل فى سن الأربعـــين ،
متعثر • يتلفت فى الحجـــرة فى غير ثقة ،
ويتطلع فى السيدة روز ، ثم فى الأولاد ،
وأخيرا في السيد المبشر روز ، ويبدو أنــه
لايعقل شيئا فيسكت)

السيدة روز : يوهان ڤلهلم !

الأولاد : پاپى !

(موبيوس يسكت)

الآنسة الدكتورة : أى موبيوس الشهم ! ألت تعرف زوجتك ، فيما
أعتقــد .

(موبيوس يحدق فى السيدة روز)

موبيوس : لينـــا ؟

السيدة روز : الضوء قليل يا موبيوس . طبعا انها لينا .

موبيوس : تحياتى يا لينا .

السيدة روز : يوهان ڤلهلم ! عزيزى ، عزيزى يوهان ڤلهلم .

الآنسة الدكتورة : اذن ، تم الأمر . يا سيدتى روز ، وياســيدى

المبشر ، اذا أردتما بعد ذلك التحدث معى ، فانى هناك فى المبنى الجديد .

(تذهب من خلال الباب ذى الجناحين ، ناحية الشمال)

السيدة روز : أولادك ، يا يوهان ڤلهلم .

(موبيوس يتراجع)

موبيوس : ثلاثة ؟

السيدة روز : طبعا ثلاثة يا يوهان ڤلهلم .

(تقدم اليه الأولاد)

السيدة روز . أدولف فريدرش ، ابنك الأكبر .

(موبيوس يصافحه)

موبيوس : أنا مسرور بك يا أدولف فريدرش يا ابنى الأكبر.

ادولف فريدرش : تحياتى يا پاپى .

موبيوس : كم عمرك اذن يا أدولف فريدرش ؟

ادولف فريدرش : ست عشرة سنة يا پاپى .

موبيوس : ماذا تريد أن تكون ؟

ادولف فريدرش : قسيسا يا پاپى .

موبيوس : انى أذكر الآن أنى اقتدتك من يدك فى ميدان

القديس يوسف . وكانت الشمس تسطع حادة ، والظلال كأنها مرسومة بالفرجار .

(موبيوس يخاطب الثانى)

موبيوس : وأنت .. أنت ؟

فلفريد كسپار : اسمى ڤلفريد كسپار ، پاپى .

موبيوس : أربع عشرة سنة ؟

فلفريد كسپار : خمس عشرة سنة . أريد دراسة الفلسفة .

موبيوس : الفلسفة ؟

السيدة روز : انه ولد مبكر النضوج فريد .

فلفريد كسپار : لقد قرأت شوپنهور ونيتشه .

السيدة روز : وهذا أصغر أولادك ، يورج لوكاس ، وعمره أربع عشرة سنة .

يورج لوكاس : تحياتى يا پاپى .

موبيوس : تحياتى يا أصغر أبنائى ، يورج لوكاس !

السيدة روز : أنه أكثرهم شبها بك .

يورج لوكاس : أريد أن أصبح عالم طبيعة ، يا پاپى .

(موبيوس يحملق فى ابنـــه الأصغر فى فزع)

موبيوس : عالم طبيعة ؟

يورج لوكاس : نعم يا پاپى .

موبيوس : لا ، يا يورج لوكاس ، أبداً يجب أن تتخلى عن هذه الفكرة ، فان هذا سيودى بعقلك . أنا — أنا أمنعك من ذلك .

(يورج لوكاس يضطرب)

يورج لوكاس : لكنك يا پاپى أنت أيضا عالم طبيعة !

موبيوس : كان ينبغى لى ألا أكونه ، يا يورج لوكاس . أبدا . والا لما كنت الآن فى مستشفى الأمراض العقلية .

السيدة روز : لكن يا يوهان ڤلهلم ، هذا خطأ . أنت فى مصحة ، ولست فى مستشفى أمراض عقلية . كل ما فى الأمر أن أعصابك أصيبت .

(موبيوس يهز رأسه)

موبيوس : لا يا لينا . الناس يعتقدون أنى مجنون . الناس كلهم . وحتى أنت . وكذلك أولادى . لأن الملك سليمان تجلى لى .

(الجميع يسكتون حائرين . السيدة روز تقدم المبشر روز)

السيدة روز : أقدم اليك أوسكار روز ، يا يوهان ڤلهلم . انه زوجى . وهو مبشر .

موبيوس : زوجك ؟ ولكننى أنا زوجك !

السيدة روز . لم تعد زوجى بعد ، يا يوهان ڤلهلم .

(تحمر خجلا)

السيدة روز : لقد طلقنا .

موبيوس : طلقنا !

السيدة روز : وأنت تعرف ذلك .

موبيوس : كلا .

السيدة روز : لقد أبلغتك الآنسة الدكتورة فون اتساند . قطعا .

موبيوس : ممكن .

السيدة روز : وبعد ذلك تزوجت أوسكار ، وعنده ستة أولاد . لقد كان قسيسا فى جوتانن ، والآن أصبح عمله فى جزائر ماريان ؟

موبيوس : فى جزائر ماريان ؟

المبشر روز : فى المحيط الهادىء .

السيدة روز : سنبحر بعد غد من ميناء برمن .

موبيوس : هكذا !

(يحـــدق فى المبشر روز · الكل حائرون مبلسون)

السيدة روز : نعم ! هذه حقيقة الأمر .

(موبيوس يشير برأسه الى المبشر روز)

موبيوس : يسرنى أن أتعرف الى الوالد الجديد لأولادى ، يا سيدى المبشر .

المبشر روز : انهم الثلاثة جميعا فى سويداء قلبى يا سـيد موبيوس . والله فى العون ، كما ورد فى المزامير: « الرب يرعانى ، فلن أفتقر الى شىء » .

السيدة روز : ان أوسكار يحفظ كل المزامير عن ظهـر قلب : مزامير داود ، ومزامير سليمان .

موبيوس : أنا سعيد لأن الأولاد وجدوا أبا صالحا . لقد كنت أبا غير كفء

(الأولاد الثلاثة يحتجون)

الأولاد : كلا ، يا پاپى .

موبيوس : وكذلك لينا وجدت زوجا أصلح .

السيدة روز : ولكن يا يوهان قلهلم !

موبيوس : أهنئك من أعماق قلبى .

السيدة روز : لابد أن نرحل عما قليل .

موبيوس : الى جزائر ماريان .

السيدة روز : ونقول وداعا .

موبيوس : الى الأبد !

السيدة روز : ان أولادك يا يوهان ڤلهلم موهوبون موسيقيا على نحو فريد ، فهم يعزفون على الناى عزفا ممتازا . أيها الأولاد ، اعزفوا لأبيكم شيئا فى وداعـه .

نيوتن : حاضر يا مامى .

(أدولف فريدرش يفتح المحفظـة ، ويوزع النايات)

السيدة روز : اجلس يا يوهان ڤلهلم .

(موبيوس يجلس عند المائدة المستديرة . السيدة روز والمبشر روز يجلسـان على الأريكة . الأولاد يقفون فى وسط الصالون)

يورج لوكاس : شيئا من موسيقى بوكستيهود[1] .

ادولف فريدرش : واحد ، اثنين ، ثلاثة .

(الأولاد يعزفون على الناى)

(١) ديترش بوكستيهود (١٦٣٧ ــ ١٧٠٧) عازف أورغن ومؤلف موسيقى ، أثر فى باخ .

السيدة روز : بحماسة يا أولاد ، بحماسة .

(الأولاد يعزفون بحماســـه . موبيوس يقفز)

موبيوس : أفضل أن تتوقفوا ، أرجوكم ، توقفوا .

(الأولاد يتوقفون فى حيرة)

موبيوس : لا تستمروا فى العزف . أرجـوكم . اكراما لسليمان ، لا تستمروا فى العزف .

السيدة روز : لكن يا يوهان قلهلم !

موبيوس : أرجوكم الكف عن العزف . أرجـوكم الكف عن العزف . أرجوكم ، من فضلكم .

المبشر روز : يا سيد موبيوس ! ان الملك سـليمان نفســه سيسر من عزف هؤلاء الصبية الأبرياء . تذكر أن سليمان شاعر المزامير ، سـليمان صاحب نشيد الأناشيد !

موبيوس : يا سيدى المبشر ! انى أعرف سليمان وجها لوجه . انه لم يعد ملك الكنوز الذهبية الذى تغنى بشولميت وبتوأمى الأيل اللذين يرعيان بين الورود . لقـد خلع رداءه الأرجـوانى . (موبيوس يجرى بسرعة مارا وراء أسرته الفزعة الى غرفته ويفتح الباب) ، وأقعى عاريا منتنا فى

غرفتى كملك الحقيقة المسكين ، ومزاميره مروعة.
أصغ الى أيها المبشر ، أنت تحب كلمات المزامير،
وتعرفها عن ظهر قلب ، فاحفظ هذه أيضا :

(يذهب الى المنضدة المستديرة عن يسار ،
ويدور حولها ، ويصعد عليها ويجلس)

مزمور سليمان ، ينشد لرواد الفضاء

قد قطعنا الكون كله
نحو بيداء القمر
فسقطنا فى ثراها
دون صوت هامدين ؛
لا يزال البعض ثـَمـّه
وكثير قد تبخر
فى دخان من عطارد
وكثير قد تحلل
فى حَسَىً من زيت زُهَرَه
وعلى المريخ شمس
أكلتنا وهى ترعد
هى صفراء ولكن
ذات اشعاع نشيط

ان ريح المشترى ريح خبيثة
فوقنا أطلق كالسهم من الميثان شربه
فلفظنا جنوميدس[1]

السيدة روز : لكن يا يوهان قلهلم ..

موبيوس : ولعنا زحلا لما وصلنا
ما الذى بعد أتى ؟ ذا ليس يذكر

أورانوس نپتون
أخضر رمادى مبترد
وعلى پلوتو وما بعد پلوتو
وقعت نكات فاضحة

ولقد طالما خلطنا بين الشمس والشعرى العبور
بين الشعرى العبور وسهيل
وطردنا ، ونحن مطرودون ،
بعض النجوم البيض ،
الى أعماق لم نبلغها أبدا

(١) جانوميدس : أمير طروادى ، كان ابنا لطروس من الحورية كلورية . وقد اختطفه زيوس وهو فى شكل نسر وجعل منه ساقيا للآلهة .

وفى سفننا منذ زمن طويل
مومياوات تحشوها الأقذار
وفى مساخرنا لم نعد نذكر
الأرض المتنفسة

رئيسة الممرضات: لكن ، لكن يا سيد موبيوس !

(رئيسة الممرضات تدخل المكـــان من عن يمين هى والممرضة مونيكـــا • وموبيوس يجلس متجمدا ، ووجهه يشبه القناع ، على المنضدة المقلوبة)

موبيوس: الآن احزموا أنفسكم وارحلوا الى جزائر ماريانا

السيدة روز: يوهان فلهلم ! ..

الأولاد: پاپى ...

موبيوس: احزموا أنفسكم ! أسرعوا ! الى جزائر ماريان !

(ينهض مهددا • أسوة روز مضطربة)

رئيسة الممرضات: تعالى يا سيدة روز ، تعالوا يا أولاد ويا سيدى المبشر . انه فى حاجة الى الهدوء ، هذا كل ما فى الأمـــر .

موبيوس: اخرجوا ! اخرجوا !

رئيسة الممرضات: حادث بسيط . ستبقى معه الممرضـــة مونيكا وتهدئه

موبيوس : غوروا ! الى غير رجعة ! الى المحيط الهادىء !

يورج لوكاس : وداعا يا پاپى ! وداعا !

(رئيسة الممرضة تأخذ بالأسرة المضطربة الباكية الى الخارج عن يمـــين ٠ موبيوس يصرخ وراءهم دون توقف)

موبيوس : لا أريد أن أرى وجوهكم بعد أبدا ! لقد أهنتم الملك سليمان ! عليكم اللعنة ! فلتغوصوا أنتم وجزر ماريان كلها فى قبر ماريان ! فى أعمـــاق غورها أحد عشر ألف متر . فى قاع البحـــر ، قاعه الأسود ، لتغوروا ، منسيين من الله ومن النـــاس !

الممرضة مونيكا : لحن وحيدان . وأسرتك لم تعد تسمعك .

(موبيوس يحدق فى الممرضة مونيكـــــا بدهشة ، ويبدو أنه استعاد أخيرا رشده)

موبيوس : آه هكذا ، طبعا !

(الممرضة مونيكا ساكتة ٠ وهو حائر)

موبيوس : لقد كنت عنيفا بعض الشىء ؟

الممرضة مونيكا : الى حد ما .

موبيوس : كان من واجبى أن أقول الحقيقة .

الممرضة مونيكا : واضح .

موبيوس : لقد استشطت غضبا .

المرضة مونيكا : لقد اضطربت .

موبيوس : هل أدركت ما فى نفسى ؟

المرضة مونيكا : انى أعنى بك منذ عامين .

(يغدو ويروح ، ثم يقف)

موبيوس : حسنا . أسلم بذلك . لقد كنت أمثل دور مجنون .

المرضة مونيكا : ولماذا ؟

موبيوس : لكى أودع زوجتى وأولادى ، وداعا أبديا .

المرضة مونيكا : على هذا النحو المروع ؟

موبيوس : على هذا النحو الانسانى . نعم ، ان خير وسيلة لاطفاء الماضى هى اتخاذ مسلك جنونى ، حينما يكون المرء فعلا فى مصحة مجانين : والآن تستطيع أسرتى أن تنسانى وهى مستريحة الضمير . ان تصرفى قد انتزع منها الرغبة فى العودة الى زيارتى . والنتائج المترتبة على ذلك لا أهمية لها بالنسبة الى ، بيد أن الحياة خارج المصحة لها حسابها . ان الجنون يكلف . وطوال خمسة عشر عاما ظلت لينا العزيزة تدفع مبالغ فاحشة ، فكان لابد من وضع خط ختامى تحتها . وكانت اللحظة

مواتية . فسليمان قد أوحى الىّ بكل ما يمكن أن يوحى الىّ به ، وجماع المخترعات الممكنة قد انتهى ، والصفحات الأخيرة قد أمليت ، وزوجتى وجدت زوجا جديدا هو المبشر الورع روز . فاطمئنى يا مونيكا . والآن قد انتظم كل شيء .

(يريد الذهاب)

المرضة مونيكا : لقد تصرفت عن خطة ونظام .

موبيوس : أنا عالم فى الطبيعة .

(يتوجه الى حجرته)

المرضة مونيكا : يا سيد موبيوس !

(يتوقف)

موبيوس : يا أخت مونيكا ؟

المرضة مونيكا : عندى حديث أريد أن أفضى اليك به .

موبيوس : تفضلى .

المرضة مونيكا : الأمر يتعلق بكلينا .

موبيوس : فلنجلس .

(يجلسان : هى على الأريكة ، وهو على الكرسى عن يسارها)

المرضة مونيكا : ونحن أيضا علينا أن يودع كلانا الآخر ، وللأبد أيضــا .

(يفزع)

موبيوس : هل تتركينني ؟

المرضة مونيكا : هذا بالأمر .

موبيوس : ماذا جرى ؟

المرضة مونيكا : لقد نقلوني الى المبنى الرئيسي . ومن غد يتولى العناية بكم ممرضون رجال . ولا يجوز لممرضة بعد أن تدخل هذه الفلا .

موبيوس : بسبب نيوتن واينشتين ؟

المرضة مونيكا : بناء على طلب النيابة العامة . وقد خشيت رئيسة الأطباء أن تحدث متاعب فسلمت لها بما طلبت .

(سكوت • يتملكه اليأس)

موبيوس : يا أخت مونيكا ، أنا في حالة قنوط . لقد فقدت القــدرة على التعبير عن المشــاعر ، والترهات الفزيائيــة التي أتبادلها مع المريضين الآخــرين اللذين أعيش الى جوارهما ليست خليقة باسم الأحاديث . لقد خرست ، وأخشى أن أكون أيضا قد خرست باطنيا . لكن ينبغي عليك أن

تعرف ان كل شيء قد تغير عندى منذ أن عرفتك،
وأصبح محتملا على نحو أفضل . والآن حتى
هذه الفترة قد مضت وانقضت ، ســنتان كنت
فيهما أسعد حالا مما كنت من قبل . لأنى بفضلك
يا أخت مونيكا استعدت الشجاعة على احتمال
عزلتي ومصيرى كمجنون . وداعا اذن !

(ينهض ويريد أن يصافحها باليد)

الممرضة مونيكا : يا سيد موبيوس ! انى لا أعدك — مجنونا .

(موبيوس يضحك ، ويعود للجلوس)

موبيوس : وأنا أيضا لا أعد نفسى مجنونا . ولكن هــذا
لا يغير شيئا فى وصفى . لقد كان من سوء حظى
أن تجلى لى الملك سليمان . ولا شيء يصدم أكثر
من معجزة فى مملكة العلم .

الممرضة مونيكا : يا سيد موبيوس ! أنا أومن بهذه المعجزة .

(موبيوس يحدق فيها متحيرا)

موبيوس : تؤمنين ؟

الممرضة مونيكا : بالملك سليمان .

موبيوس : أنه تجلي لى ؟

الممرضة مونيكا : انه تجلى لك .

موبيوس : كل يوم ، وكل ليلة ؟

المرضة مونيكا : كل يوم ، وكل ليلة .

موبيوس : وأنه أملى علىّ أسرار الطبيعة ؟ وارتباط الأشياء كلها ؟ ونظام كل الاختراعات الممكنة ؟

المرضة مونيكا : نعم أومن بهذا . وحتى لو قلت ان الملك سليمان يتجلى لك ومعه بلاطه وحاشيته لآمنت بذلك انى أعلم بكل بساطة أنك لست مريضا . انى أشعر بذلك .

(سكون . ثم يقفز موبيوس)

موبيوس : يا أخت مونيكا ! اذهبى !

(تظل جالسة)

المرضة مونيكا : سأبقى .

موبيوس : لا أريد أن أراك بعد .

المرضة مونيكا : أنت فى حاجة الى . ولا أحد لك فى الدنيا غيرى، لا أحد .

موبيوس : انه لأمر قاتل هذا الايمان بالملك سليمان .

المرضة مونيكا : انى أحبك .

(موبيوس يحدق حائرا فى مونيكا ويجلس من جديد . سكوت)

موبيوس : (بصوت خفيض ، يائس) أنت تسعين لمضرتك.

المرضة مونيكا : انى لا أخاف على نفسى شيئا ، بل أخاف عليك أنت . ان نيوتن واينشتين خطيران .

موبيوس : انى أستطيع التفاهم معهما .

المرضة مونيكا : الممرضة دوروتيه والممرضة ايرينه كانتا تتفاهمان معهما أيضا ، ومع ذلك فقد قتلاهما .

موبيوس : يا أخت مونيكا ! لقد اعترفت لى بايمانك وبحبك . انك ترغميننى على أن أقول لك الحقيقة . أنا أيضا أحبك يا مونيكا .

(هى تحدق فيه)

موبيوس : أكثر من حياتى . ولهذا أنت فى خطر ، لأن كلينا يحب الآخر .

(من الحجرة رقم ٢ يقدم اينشتين وهو يدخن غليونا)

اينشتين : لقد استيقظت مرة أخرى .

المرضة مونيكا : لكن يا سيدى الأستاذ !

اينشتين : لقد تذكرت شيئا فجأة .

المرضة مونيكا : لكن يا سيدى الأستاذ .

اينشتين : لقد خنقت الممرضة ايرينه .

الممرضة مونيكا : لا تفكر بعد فى هذا يا سيدى الأستاذ .

(يتأمل فى يديه)

اينشتين : هل لا أزال قادرا على العزف على الكمان ؟

(موبيوس ينهض ، وكأنه يريد أن يحمى مونيكا)

موبيوس : لقد كنت تعزف على الكمان منذ قليل .

اينشتين : كان عزفى مقبولا ؟

موبيوس : كنت تعزف سوناتا الكرويتسر ، بينما كانت الشرطة هنا .

اينشتين : سوناتا الكرويتسر ؛ الحمد لله .

(انفرجت سيماه ، ثم تقطبت من جديد)

اينشتين : انى لا أحب العزف ولا أحب الغليون ، ان طعمه كريه بشع .

موبيوس : اذن دعه .

اينشتين : لا أستطيع مع ذلك ، ما دمت أنا ألبرت اينشتين.

(ينظر بحدة الى الأثنين الآخرين)

اينشتين : أتتما يحب بعضكما بعضا ؟

المرضة مونيكا : نعم نحب بعضنا بعضا .

(اينشتين يمضى مفــكرا ناحية الخلفية ، حيث كانت ترقد المرضة المقتولة)

اينشتين : وأيضا الممرضة ايرينــه وأنا كنا نحب بعضـنا بعضا . لقد أرادت أن تعمل كل شيء من أجلى . هذه الممرضة ايرينه . وحذرتها . وصرخت فى وجهها . وعاملتها معاملة الكلب . وتوسلت اليها أن تهرب . لكن عبثا . بقيت . أرادت أن تأخذلى معها الى الريف ، إلى كولڤـانج . أرادت أن تتزوجنى . وحصلت فعلا على موافقة بذلك من الآنسة الدكتورة فون اتساند . هناك خنقتها ، خنقت الممرضة المسكينة ايرينه . لا شيء فى الدنيا أبعد عن الحكمة من حماسة النساء فى التضحية بأنفسهن .

(الممرضة مونيكا تتوجه اليه)

المرضة مونيكا : اذهب الى فراشك يا أستاذ .

اينشتين : ينبغى أن تنادينى باسم ألبرت .

المرضة مونيكا : كن عاقلا يا ألبرت .

اينشتين : كونى عاقلة يا أخت مونيكا . أطيعى ما قاله حبيبك واهربى ، والا ضعت .

(يتوجه الى الحجرة رقم ٢)

اينشتين : أنا ذاهب الى النوم من جديد .

(يختفى فى الحجرة رقم ٢)

المرضة مونيكا : هذا الرجل المسكين المخبول .

موبيوس : لابد أنه أقنعك باستحالة أن تحبينى .

المرضة مونيكا : أنت لست مجنونا .

موبيوس : من الحكمة أن تحسبينى مجنونا . اهربى . اختفى ! فرى ! والا كان على أنا أيضا أن أعاملك معاملة الكلب .

المرضة مونيكا : بل عاملنى معاملة الحبيبة .

موبيوس : تعالى يا مونيكا .

(يقتادها الى كرسى ، ويجلس قبالتها ، ويمسك بيديها)

موبيوس : أصغى الى . لقد ارتكبت خطأ فاحشا . فضحت سرى ، لم أسكت عن اعلان تجلى سليمان لى . ومن أجل هذا هو يعاقبنى ، طول حياتى . وهذا معقول . ولكن يجب ألا تعاقبى أنت أيضا على

هذا . فى عيون الناس أنت تحبين مريضا بعقله .
أنت تجلبين الشقاء على نفسك . فاتركى هذه
المصحة ، وانسينى . هذا هو الأفضل بالنسبة
لكلينا .

المرضة مونيكا : هل تشتهيننى ؟

موبيوس : لماذا تتحدثين معى هكذا ؟

المرضة مونيكا : أريد أن أنام معك ، أريد أن أنجب منك أطفالا .
أنا أعرف أننى أتكلم بغير حياء . لكن لماذا
لا تتطلع الى ؟ هل أنا لا أعجبك ؟ أنا أعترف
بأن لبسى كممرضة قبيح .

(تخلع قلنسوتها من فوق شعرها)

المرضة مونيكا : انى أكره مهنتى ! طوال خمس سنوات وأنا أعنى
بالمرضى ، باسم حب الجار . انى لم أجمل وجهى
أبدا ، وكنت أقوم بكل شىء ، ضحيت بنفسى .
أما الآن فانى أريد أن أضحى من أجل شخص
واحد فقط ، وأن أحيا من أجله ، لا من أجل
الآخرين . أريد أن أعيش لحبيبى وحده ، لك
أنت . أريد أن أعمل كل شىء تطلبه منى ، وأن
أشتغل من أجلك ليلا ونهارا . وليس لك أن

تهجرنی ! لم يعد لی فی الدنيا أحد سواك ! انی
أنا الأخری وحيدة !

موبيوس : مونيكا ، لابد لی أن أهجرك وأسرحك .

الممرضة مونيكا : (يائسة) ألا تحبنی اذن أبدا ؟

موبيوس : كلا بل أنا أحبك يا مونيكا . يا الهی ، انی أحبك، وهذا هو الأمر الجنونی فی هذه المسألة .

الممرضة مونيكا : لماذا تخوننی اذن ؟ ولست أنا فقط ؟ انك تؤكد أن الملك سليمان يتجلی لك . فلماذا تخونه اذن هو الآخر ؟

(موبيوس ينفعل انفعالا شـــديدا جدا ، يمسك بها) .

موبيوس : يا مونيكا ! يجب أن تؤمنی بكل ما أقول ، وأن تعدينی رجلا ضعيفا ، هذا من حقك . انی غير جدير بحبك . أما سليمان فقد بقيت له مخلصا . لقد دخل فی مجری حياتی فجأة دون أن يدعوه أحـــد ، وقد أساء استعمالی ، وحطم حياتی ، لكننی لم أخنه .

الممرضة مونيكا : هل أنت واثق ؟

موبيوس : وهل تشكين ؟

المرضة مونيكا : ألت تعتقـد أنه يجب عليك أن تكفر عن ذنب الافصاح بأنه تجلى لك . لكن لعلك انما تكفر عن عدم الدعوة الى ما أوحى به اليك .

(يكف عن الامساك بها)

موبيوس : أنا — لا أفهم ماذا تقصدين .

المرضة مونيكا : لقد أملى عليك نظام الاكتشافات الممكنة . فهل ناضلت من أجل أن يقر الناس بهذا النظام ؟

موبيوس : لقد عدنى الناس مجنونا .

المرضة مونيكا : ولماذا تخونك الشجاعة ؟

موبيوس : ان الشجاعة فى مثل حالتى جريمة .

المرضة مونيكا : يوهان ڤلهلم ! لقد تكلمت مع الآنسة الدكتورة فون اتساند .

(موبيوس يحدق فيها)

موبيوس : تكلمتما ؟

المرضة مونيكا : أنت حر .

موبيوس : حـــر ؟

المرضة مونيكا : ينبغى أن نتزوج كلانا بالآخر .

موبيوس : يا الهى !

المرضة مونيكا : ان الآنسة الدكتورة فون اتساند قد رتبت كل

شيء . صحيح أنها ترى أنك مريض ، ولكنها تعتقد أيضا أنك غير خطير ، وأنك غير مصاب بمرض وراثى . ولقد صرحت ضاحكة أنها أكثر منك جنونا .

موبيوس : هذا جميل منها .

الممرضة مونيكا : أليست انسانة ممتازة ؟

موبيوس : مؤكد .

الممرضة مونيكا : يا يوهان ڤلهلم ! لقد حصلت على منصب ممرضة القرية فى بلومنشتين . وعندى مال اقتصدته . ولسنا فى حاجة الى الاهتمام . وكل ما نحن فى حاجة اليه هو أن يحب كلانا الآخر حبا سليما .

(موبيوس نهض • فى الغرفة يزداد الاظلام)

الممرضة مونيكا : أليس هذا شيئا رائعا ؟

موبيوس : حقـــا .

الممرضة مونيكا : ألا يبهجك هذا ؟

موبيوس : لقد جاء على غير توقع .

الممرضة مونيكا : لقد فعلت ما هو أكثر من هذا .

موبيوس : ما هو ؟

الممرضة مونيكا : تكلمت مع عالم الطبيعة الشهير الأستاذ شربرت..

موبيوس : لقد كان أستاذى .

الممرضة مونيكا : انه يذكر ذلك جيدا . لقد كنت خير تلاميذه .

موبيوس : وعم تحدثت معه ؟

الممرضة مونيكا : لقد وعدنى بأن يفحص مخطوطاتك بكل نزاهة .

موبيوس : هل قلت له أيضا أنها من وحى سليمان ؟

الممرضة مونيكا : طبعـــا .

موبيوس : ثم ماذا ؟

الممرضة مونيكا : ضحك . لقد كنت دائما مهرجا مخبولا . يايوهان ڤلهلم ، ينبغى ألا نفكر فى أنفسنا فقــط . انك رجل مختار . لقد تجلى لك سليمان ، تجلى لك فى تمام بهائه ، وكان من نصيبك الظفر بحكمة السماء . وعليك الآن أن تسلك الســبيل التى أمرتك المعجزة بالسير فيها ، وألا تنحــرف عنها حتى لو صادفك فيها الاســتهزاء والســخرية والشك وعدم الايمان . لكنها سبيل تقــودك خارج هذه المصحة يا يوهان ڤلهلم ، انها تدعوك الى الظهــور علانيــة ، لا أن تقبع فى عزلتك ، انها تدعوك الى الكفاح . وهأنذى على استعداد لمعاونتك والنضال معك جنبا الى جنب ، وان

السماء التى أرسلت اليك سليمان ، قد أرسلتنى أيضا اليك .

(موبيوس يحدق فى النافذة بعيداً)

المرضة مونيكا : يا أعز حبيب !

موبيوس : حبيبتى ؟

المرضة مونيكا : ألست سعيدا ؟

موبيوس : جـدا .

المرضة مونيكا : يجب علينا الآن أن نحزم حقائبك . ان القطار ميعاده فى الساعة الثامنة وعشرين دقيقة ، الى بلومنشتين .

موبيوس : ليس ثم وقت .

المرضة مونيكا : لقد أظلمت .

موبيوس : ان الليل يأتى الآن مبكرا .

المرضة مونيكا : سأضىء النور .

موبيوس : انتظرى قليلا . تعالى الى .

(تذهب اليه • لايرى غير أشباحهما)

المرضة مونيكا ان فى عينيك دموعا .

موبيوس : وأنت أيضا .

المرضة مونيكا : من السعادة .

(يرخى الستارة الى أسفل وفوقها • صراع قصير • أشباخهما لاترى بعد • ثم سكون• يفتح باب الحجرة رقم ٣ • يدخل فى المكان شعاع نور • نيوتن واقف بالباب بملابس عصره • موبيوس ينهض)

نيوتن : ماذا حدث ؟

موبيوس : لقد خنقت المرضة مونيكا اشتتلر .

(من الحجرة رقم ٢ يسمع اينشستين وهو يعزف على الكمان)

نيوتن : ها هو ذا اينشتين يعود للعزف على الكمان .
موسيقى كريسلر : حصا البان الجميل .

(يذهب الى المدخنة ويأخذ الكونياك)

الفصل الثاني

(بعد ساعة . نفس المكان في الخـــارج ظلام . الشرطة حضرت من جديد . ومرة أخرى قياسات ورســـومات وصـــور شمسية . جثة مونيكا اشتتلر لاترى للجمهور ولكن من المفروض أنها ناحية اليمين تحت النافذة . الصالون مضاء . النجفة مضاءة، المصباح ذو الأرجل.على الأريكة تجلس الآنسة الدكتورة ماتيلده نون اتساند ، حزينة ، غارقة فى أفكارها . وأمامها على المنضدة الصغيرة صندوق سيجار ، وعلى الكرسى ناحية اليمين جول ومعه دفتر اختزال . المفتش فوس يشيح بوجهه عن الجثة وهو يلبس قبعة ومعطفا ، ثم يبدو فى المقدمة) .

الآنسة الدكتورة : تريد سيجار هافانا ؟

المفتش : كلا ، شكرا .

الآنسة الدكتورة : خمرا ؟

المفتش : فيما بعد .

(سكوت)

المفتش : بلوخر ! تستطيع الآن أن تصور .

بلوخر : حاضر ، يا سيدى المفتش .

(تؤخذ صور . أضواء للتصوير)

المفتش : ما اسم الممرضة ؟

الآنسة الدكتورة : مونيكا اشتتلر .

المفتش : والسن ؟

الآنسة الدكتورة : خمس وعشرون سنة . من بلومنشتين .

المفتش : أقاربها ؟

الآنسة الدكتورة : لا أحـــد .

المفتش : هل سجلت هذه الأقوال يا جول ؟

جول : نعم يا سيدى المفتش .

المفتش : وهى الأخرى خنقت ، يا دكتوره ؟

الطبيب الشرعى : بكل وضوح . وهى الأخرى بقوة هائلة . لكن فى هذه المرة بحبل الستارة .

المفتش : مثلما حدث قبل ثلاثة أشهر .

(يجلس متعبا على الكرسى الى الامام ناحية اليمين)

الآنسة الدكتورة : هل تريد أن ترى القاتل ؟

المفتش : من فضلك يا آنستى الدكتورة .

الآنسة الدكتورة : أقصد الفاعل ؟

المفتش : انى لا أفكر فى هذا الآن .

الآنسة الدكتورة : ولكن ..

المفتش : يا آنستى الدكتورة فون اتساند ! انى أؤدى واجبى ، وأكتب محضرا ، وأعاين الجثة وآمر بتصويرها وآخذ رأى الطبيب الشرعى ، أما موبيوس فانى لن أعاينه ، بل أتركه لك أنت نهائيا ، هو وسائر علماء الطبيعة الباحثين فى النشاط الاشعاعى .

الآنسة الدكتورة : والنائب العام ؟

المفتش : انه لم يعد يزمجر ، بل يدبر .

(هى تمسح عرقها)

الآنسة الدكتورة : الجو حار هنا .

المفتش : أبدا .

الآنسة الدكتورة : لثالث مرة جريمة قتل ..

المفتش : أرجوك يا آنستى الدكتورة !

الآنسة الدكتورة : هذا الحادث الأليم الثالث كان هو الآخر ينقصنا هنا فى مصحة « الكرز » . انى مستعدة للتخلى عن العمل . مونيكا اشتتلر كانت خير ممرضة عندى . كانت تفهم المرضى ، وتسبر أغوار مشاعرهم . وكنت أحبها كأنها ابنة لى . لكن

موتها ليس أسوأ ما فى الأمر ، بل سمعتى كطبيبة قد ضاعت .

المفتش : سمعتك ستعود من جديد . يا بلوخر ! خذ صورة أخرى من أعلى .

بلوخر : حاضر ، يا سيدى المفتش .

(فى ناحية اليمين ممرضان ضخمان يحضران عربة عليها طعام وأوانى الأكل وأحدهما زنجى ، ويصحبهما رئيس ممرضين ضخم)

رئيس الممرضين : وجبة المساء للمرضى ، يا آنستى الدكتورة .

(المفتش يقفز)

المفتش : أووى سيڤرز .

رئيس الممرضين : نعم ، تماما ، يا سيدى المفتش ، أنا أووى سيڤرز ، بطل أوربا السابق فى الملاكمة فى الوزن الثقيل ، والآن أصبحت رئيس الممرضين فى مصحة « الكرز » .

المفتش : وهذان العملاقان ؟

رئيس الممرضين : موريلو ، وهو بطل أمريكا الجنوبية ، فى الوزن الثقيل أيضا ، وماك آرثر (يشير الى الزنجى) ،

وهو بطل أمريكا الشمالية فى الوزن المتوسط .
صف المنضدة ، يا ماك آرثر .

(ماك آرثر يصف المنضدة)

رئيس الممرضين : المفرش يا موريلو .

(موريلو يفرش مفرشا أبيض على المنضدة)

رئيس الممرضين : أطباق الصينى الميسينى يا ماك آرثر .

(ماك آرثر يوزع أوانى الأكل)

رئيس الممرضين : الملاعق والشوك والسكاكين الفضية يا موريلو .

(موريلو يوزع الملاعق والشوك والسكاكين)

رئيس الممرضين : آنية الحساء فى الوسط يا ماك آرثر .

(ماك آرثر يضع آنية الحساء على المائدة)

المفتش : ماذا سيتناول مرضانا الأعزاء ؟

(يرفع الغطاء من فوق آنية الحساء)

المفتش : حساء كفتة الكبدة .

رئيس الممرضين : ودجاج مشوى على السيخ ، ولحم بطريقة الخيط الأزرق .

المفتش : هـائل .

رئيس الممرضين : من الدرجة الأولى .

انى موظف فى الدرجة الرابعة عشرة ، ومع ذلك فان الطعام فى بيتى أقل بكثير .

رئيس الممرضين : الطعام جاهز يا آنستى الدكتورة .

الآنسة الدكتورة : تقدر أن تذهب يا سيفرز ، والمرضى سيخدمون أنفسهم بأنفسهم .

رئيس الممرضين : لنا الشرف يا سيادة المفتش .

(الثـــلاثة ينحنون ويخرجون من ناحية اليمين ، والمفتش ينظر اليهم)

المفتش : يالله !

الآنسة الدكتورة : هل أنت راض ؟

المفتش : انى أحسدك . آه لو كانوا عندنا فى الشرطة ..

الآنسة الدكتورة : ان مرتباتهم عالية جدا جدا .

المفتش : أنت قادرة على دفعها بفضل ما عندك من كبار رجال الصناعة وأصحاب الملايين . وهم قادرون على بث الطمأنينة فى نفس النائب العام . فلا أحد قادر على خنق واحد منهم .

(من الغرفة رقم ٢ يسمع اينشـــتين وهو يعزف على الكمان)

المفتش : واينشتين يعزف على الكمان من جديد ..

الآنسة الدكتورة : من موسيقى كريسلر ، كما هو الغالب ؛ انها أنشودة غرامية .

بلوخر : أظن أن مهمتنا انتهت يا سيادة المفتش .

المفتش : اذن أخرج الجثة من هنا .

(شرطيان يرفعان الجثة • وهنا يدخل موبيوس من الحجرة رقم ١)

موبيوس : مونيكا ! حبيبتى !

(الشرطيان يتوقفان ومعهما الجثة • الآنسة الدكتورة تنهض بجلال)

الآنسة الدكتورة : موبيوس ! كيف أمكنك أن تفعل هذا ؟ لقد قتلت أفضل الممرضات عندى ، وأرقهن وأحلاهن !

موبيوس : انى آسف غاية الأسف يا آنستى الدكتورة .

الآنسة الدكتورة : آسف ؟!

موبيوس : لقد أمرنى بذلك الملك سليمان .

الآنسة الدكتورة : الملك سليمان ؟!

(تجلس ، فى غاية الحزن ، شاحبة) •

الآنسة الدكتورة : جلالته أمر بالقتل !

موبيوس : كنت واقفا عند النافذة أحدق فى المساء البهيم . وهنالك تجلى لى الملك فى الحديقة فوق الشرفة

واقترب منى وهمس فى أذنى ، من خلال لوح الزجاج ، بهذا الأمر .

الانسة الدكتورة: معذرة يا فوس . أعصابى .

المفتش : لا بأس .

الانسة الدكتورة: ان مثل هذه المصحة ترهق الأعصاب .

المفتش : أقدر هذا .

الانسة الدكتورة انى ذاهبة لأستريح .

(تنهض)

الانسة الدكتورة: سيدى المفتش فوس : بلغ النائب العام أسفى لما حدث من أحداث أليمة فى مصحتى . وأكد له أن كل شىء الآن على ما يرام . سيدى الطبيب الشرعى ، سادتى ، كان لى الشرف .

(تذهب أولا الى الخلف عن يسار ، وتنحنى أمام الجثة بجلال ، ثم تنظر الى موبيوس ، وبعد ذلك تخرج من ناحية اليمين)

المفتش : هكذا . الآن تستطيعون أن تأخذوا الجثة نهائيا الى الكنيسة ، الى جانب الممرضة ايرينه .

موبيوس : مونيكا !

(الشرطيان ومعهما الجثة ، والآخرون ومعهم الأجهزة ، يخرجون من باب الحديقة . ويتبعهم الطبيب الشرعى)

موبيوس : يا مونيكا العزيزة .

(المفتش يذهب ناحية المنضدة الصغيرة التى الى جانب الأريكة)

المفتش : أنا فى حاجة الآن الى سيجار هافانا . انى أستحقه .

(يتناول سيجارا ضخما من العلبة ، وينظر فيه)

المفتش : حماقة .

(يعض عليه ، ويشعله)

المفتش : يا عزيزى موبيوس ، وراء شبكة المدخنة الحديدية يختفى كونياك سير اسحق نيوتن .

موبيوس : حاضر يا سيادة المفتش .

(المفتش ينفث الدخان أمامه ، بينما موبيوس يخرج زجاجة الكونياك والكأس)

موبيوس : هل أصب لك ؟

المفتش : نعم .

(يتناول منه الكأس ويشرب)

موبيوس : كأسا أخرى ؟

المفتش : نعم ، هات كأسا أخرى .

(موبيوس يصب مرة ثانية)

موبيوس : يا سيدى المفتش ! يجب أن أرجوك أن تحبسنى.

المفتش : لكن لماذا يا عزيزى موبيوس !

موبيوس : لأنى .. المرضة مونيكا ..

المفتش : باعترافك أنت انما فعلت ما فعلت تلبية لأمر الملك سليمان . فطالما لم أستطع حبسه ، فستظل أنت طليقا .

موبيوس : ومع ذلك ..

المفتش : لا « مع ذلك » ولا شىء . صب لى كأسا أخرى.

موبيوس : حاضر يا سيادة المفتش .

المفتش : والآن خبىء الكونياك من جديد ، والا شربه المرضون كله .

موبيوس : حاضر ، يا سيادة المفتش .

(يخبىء الكونياك)

المفتش : أنظر ! انى أسجن سنويا فى المدينة وما حولها بعض القتلة . ليسوا كثيرين ، حوالى ستة . بعضهم أسجنه عن طيب خاطر ، والبعض الآخر مع الأسف ، وبرغم ذلك لابد لى أن أسجنهم . فالعدالة هى العدالة . والآن أنت وزميلاك : فى البداية تضايقت لأننى لم يكن من حقى أن أتخذ

اجراءات ؛ أما الآن ، فانى مسرور بهذا ، شديد الابتهاج . لقد وجدت ثلاثة قتلة ، لا أحتاج ، وأنا مستريح الضمير ، الى اعتقالهم . ولأول مرة تكون العدالة فى اجازة ، وهذا يثير شعورا هائلا. ان العدالة ، يا صديقى ، ترهق أشد الأرهاق ، والمرء يقضى على نفسه فى خدمتها ، من الناحيتين: الصحية والمعنوية ؛ وبكل بساطة أنا فى حاجة الى فترة استراحة . وهذه المتعة أنا مدين لك بهـا يا عزيزى . فوداعا ، وسلم باسمى على نيوتن واينشتين سلاما صادقا صدوقا ، ووص بى عند سليمان .

موبيوس : حاضر ، يا سيادة المفتش .

(المفتش يمضى . موبيوس وحده . يجلس على الأريكة، يضغط بأصابعه على مساندها. من الحجرة رقم ٣ يأتى نيوتن)

نيوتن : ماذا فى الأمر ؟

(موبيوس يسكت . نيوتن يرفع الغطـاء عن آنية الحساء)

نيوتن : حساء بكفتة الكبدة .

(يرفع الأغطية عن سائر أوانى الطعـام الموجودة على العربة)

نيوتن : دجاج مشوى بالسيخ ، ولحم على طريقة الخيط الأزرق . فخم . والا فاننا نأكل فى المساء عـادة طعاما خفيفا ، ومتواضعا ، منذ أن أقام المرضى الآخرون فى المبنى الجديد .

(يغرف لنفسه من الحساء)

نيوتن : ألست جوعان ؟

(موبيوس يسكت)

نيوتن : فاهم . وأنا أيضـا زالت شهيتى بعـد مصرع صاحبتى الممرضة .

(يجلس ، ويبدأ فى تناول الحساء بكفتـة الكبـدة . موبيوس ينهض وينوى الذهاب الى حجرته)

نيوتن : ابق .

موبيوس : سير اسحق ؟

نيوتن : لى معك كلام يا موبيوس .

(موبيوس يقف)

موبيوس : ثم ؟

(نيوتن يشير الى الطعام)

نيوتن : ألا تريد ولو تذوق بعض الحساء بكفتة الكبدة؟ ان طعمها ممتاز .

موبيوس : كلا .

نيوتن : يا عزيزى موبيوس ، لن ترعانا بعد ممرضات ، بل سيحرسنا ممرضون ، رجال أشداء عمالقة .

موبيوس : هذا لا يغير فى الأمر شيئا .

نيوتن : ربما فيما يتعلق بك ياموبيوس . انك تريد فيما يبدو أن تقضى عمرك كله فى مستشفى الأمراض العقلية . أما فيما يتعلق بى ، فهذا له أثره . انى فى الواقع أريد الخروج من المصحة .

(يفرغ من تناول الحساء بكفتة الكبدة)

نيوتن : والآن فلننتقل الى الدجاج المشوى على السيخ .

(يتناول منه)

نيوتن : الممرضون يرغموننى على العمل ، اليوم .

موبيوس : فى مسألتك ؟

نيوتن : ليس تماما . انى أعترف أمامك يا موبيوس بأنى لست مجنونا .

موبيوس : طبعا ، لا ، ياسير اسحق .

نيوتن : أنا لست سير اسحق نيوتن .

موبيوس : أعرف . أنت ألبرت اينشتين .

نيوتن : كلام فارغ . ولست أيضا هربرت جيورج بويتلر، كما يظن الناس هنا . اسمى الحقيقى هو كيلتون، يا صديقى .

(موبيوس يحدق فيه فزعا)

موبيوس : ألك يسپر كيلتون ؟

نيوتن : تماما .

موبيوس : مؤسس نظرية التناظر ؟

نيوتن : نعم هو بعينه .

(موبيوس يقترب من المنضدة

موبيوس : وتسللت الى هنا ؟

نيوتن : بالتظاهر بالجنون .

موبيوس : من أجل — التجسس علىّ ؟

نيوتن : لاكتشاف السبب فى جنونك . ان معرفتى التامة باللغة الألمانيـة أوردتنى دائرة الاستخبارات السرية عندنا . انه لعمل رهيب !

موبيوس : ولأن الممرضـة المسكينة دوروتيـه اكتشفت الحقيقة، لهذا

نيوتن : نعم لهذا ، وانى لآسف على هذه الفعلة أشــد الأسف .

موبيوس : فاهـــم .

نيوتن : الأوامر هى الأوامر .

موبيوس : مفهوم طبعا .

نيوتن : لم يكن من حقى أن أفعل غير ذلك .

موبيوس : طبعا ، لا .

نيوتن : كان الأمر يتعلق بمهمتى ، وهى أشد مهمات ادارة الاستخبارات السرية سرية . كان لابد لى أن أقتل اذا أردت تجنب كل شبهة . والممرضـــة دوروتيه لم تعد تنظر الىّ كمجنون ، ورئيسة الأطباء كانت تحسب أن مرضى معتدل ، وكان لابد لى أن أبرهن على جنونى بأن ارتكب حادثة قتل . اسمع ! ان الدجاجة المشوية طعمها فعلا ممتـــاز .

(من الحجرة رقم ٢ يسمع اينشـــتين وهو يعزف على الكمان)

موبيوس : ها هو ذا اينشتين يستأنف العزف على الكمان .

نيوتن : انه يعزف « الجاقوت » تأليف باخ .

موبيوس : طعامه سيبرد .

نيوتن : دع المجنون يستمر فى عزفه هادئا .

موبيوس : هذا تهديد ؟

نيوتن : انى أقدرك تقديرا لا حد له . وسيؤذينى حقا أن أضطر الى اتخاذ مسلك عنيف .

موبيوس : هل كلفت بمهمة اختطاف ؟

نيوتن : اذا صح اشتباه مخابراتنا السرية .

موبيوس : وما هذا الاشتباه ؟

نيوتن : انها تعتقد بالصدفة أنك أعظم عالم فى الطبيعة فى الوقت الحاضر .

موبيوس : أنا رجل مريض الأعصـاب جـدا يا كيلتون ، ولا شىء غير ذلك .

نيوتن : ان مخابراتنا السرية لها فيك رأى آخر .

موبيوس : وما رأيك أنت فىّ ؟

نيوتن : انى أعتقد بكل بساطة أنك أكبر عالم فى الطبيعة فى جميع العصور .

موبيوس : وكيف نمى الى مخابراتكم السرية خبرى ؟

نيوتن : عن طريقى أنا . كنت أقرأ ، مصادفة، رسائلك عن أسس علم طبيعة جديد . فى البداية ظننت هذا

البحث ألاعيب . ثم تكشف لى كما يتكشف القذى عن العين . وعددتها أبرع وثيقة فى علم الطبيعة الجديد . فبدأت البحث عن مؤلفها ، ولكنى لم أتقدم خطوة . هنالك أبلغت المخابرات السرية ، وهذه استطاعت أن تتقدم فى معلوماتها.

اينشتين : لم تكن القارىء الوحيد لهذه الرسالة يا كيلتون.

(كان قد دخل على غفلة ، وكمانه تحت ابطه هى وقوسها ، قادما من الحجرة رقم ٢)

اينشتين : وأنا أيضا لست مجنونا . هل أقدم نفسى ؟ أنا أيضا عالم فى الطبيعة ، وعضو فى ادارة مخابرات سرية ، ولكنها من نوع مختلف بعض الاختلاف. واسمى يوسف أيسلر .

موبيوس : مكتشف « أثر ايسلر » ؟

اينشتين : نعم هو بعينه .

نيوتن : وهو الذى اختفى فى سنة ١٩٥٠ ولم يدر عنه أحد شيئا فيما بعد..

اينشتين : بمحض ارادته .

(نيوتن يمسك فى يده فجأة بمسدس)

نيوتن : هل تسمح يا أيسلر أن تتجه بوجهك نحو الحائط؟
اينشتين : طبعـا .

(يتوجه متصنعا ناحية المدخنة ، ويضـع كمانه على حافة المدخنة ، ثم يتلفت فجـأة وفى يده مسدس)

اينشتين : يا عزيزى كيلتون . ما دمنا كلانا نحسن السير ومعنا السلاح ، وكلانا ماهر فى استعماله ، فهل لنا أن نتجنب ، ما استطعنا ، المبارزة ، ألا ترى ذلك ؟ ولهذا فانى أنحى مسدسى البرونج جانبا، اذا أنت أيضا نحيت مسدسك الكولت .

نيوتن : موافق .

اينشتين : خلف شـبكة المدخنـة الحـديدية الى جانب الكونياك ، اذا جاء الممرضون فجأة .

نيوتن : حسنا .

(كلاهما يضع مسدسه خلف شبكة المدخنة الحديدية)

اينشتين : لقد أفسدت على خططى يا كيلتون . لقد كنت أحسبك مجنونا فعلا .

نيوتن : هون عليك : فأنا أيضا كنت أحسبك كذلك .

اينشتين : لقد فسدت أمور كثيرة بوجه عام . فمثلا حادث

المرضة ايرينه اليوم بعد الظهر . لقد انتابها الشك ، ولهذا صدر الحكم بقتلها . وانى لآسف على هذه الفعلة أشد الأسف .

موبيوس : فاهم .

اينشتين : الأوامر هى الأوامر .

موبيوس : مفهوم طبعا .

اينشتين : لم يكن من حقى أن أفعل غير ذلك .

موبيوس : طبعا ، لا .

اينشتين : كان الأمر يتعلق بمهمتى ، وهى أشد مهمات ادارة الاستخبارات السرية سرية . هل نجلس ؟

نيوتن : لنجلس .

(يجلس الى المائدة عن شمال ، بينما اينشتين يجلس عن يمين)

موبيوس : انى أفترض يا أيسلر أنك تريد أن ترغمنى ..

اينشتين : لكن يا موبيوس .

موبيوس : تحملنى على السعى الى بلادك .

اينشتين : ونحن أيضا نعدك أكبر علماء الطبيعة قاطبة . غير أنى الآن متلهف على طعام العشاء ، طعام الشيطان .

(يتناول لنفسه من آنية الحساء)

اينشتين : لا تزال فاقد الشهية يا موبيوس ؟

موبيوس : كلا ، بل عادت فجأة الآن ، منذ أن كشفت عن السر .

(يجلس الى المائدة بين كليهما ، ويتناول لنفسه الحساء)

نيوتن : هل تريد كأسا من النبيذ البورجونى ؟

موبيوس : صب .

(نيوتن يصب فى كأسه)

نيوتن : سأتناول اللحم على طريقة الخيط الأزرق .

موبيوس : تفضل .

نيوتن : طعاما هنيئا .

اينشتين : طعاما هنيئا .

موبيوس : طعاما هنيئا .

(يأكلون . عن يمين يقدم الممرضون الثلاثة، ومع رئيس الممرضين دفتر)

رئيس الممرضين : المريض بويتلر !

نيوتن : موجـود .

رئيس الممرضين : المريض ارنستى !

اينشتين : موجـود .

رئيس الممرضين : المريض موبيوس !

موبيوس : موجـود .

رئيس الممرضين : رئيس الممرضين سيڤرز ، والممرض موريلو ، والممرض ماك آرثر .

(يضع الدفتر فى جيبه)

رئيس الممرضين : بناء على رأى السلطات المختصة لابد من اتخاذ اجـراءات أمن . يا موريلو ، أنزل الشـبكة الحديدية .

(موريلو ينزل شبكة حديدية على النافذة، فيصبح المكان دفعة واحدة على هيئة سجن) .

رئيس الممرضين : يا ماك آرثر ، أغلق الشبكة الحديدية .

(ماك آرثر يغلق الشبكة)

رئيس الممرضين : هل السادة فى حاجة الى شىء آخر هذه الليلة ؟ المريض بويتلر ؟

نيوتن : لا .

رئيس الممرضين : المريض ارنستى ؟

اينشتين : لا .

رئيس الممرضين : المريض موبيوس ؟

موبيوس : لا .

رئيس الممرضين : أيها السادة ، طبتم مساء !

(يخرج الممرضون الثلاثة • سكون)

اينشتين : وحوش !

نيوتن : وفى البستان عمالقة آخرون يرقبون . وقد تأملتهم طويلا من نافذتى .

(اينشتين ينهض ويفحص الشبكة الحديدية)

اينشتين : قوية ، ولها قفل خاص .

(نيوتن يتوجه الى باب حجرته ، ويفتحه ، ويتطلع فى داخلها)

نيوتن : وأمام نافذتى أيضا شبكة حديدية ، وضعت دفعة واحدة كأنها وضعت بفعل ساحر .

(يفتح البابين الآخرين فى الخلف)

نيوتن : وكذلك فى غرفة ايسلر ، وفى غرفة موبيوس .

(يمضى الى الباب عن يمين)

نيوتن : مغلق .

(يجلس • وكذلك اينشتين)

اينشتين : نحن مسجونون .

نيوتن : هذا منطقى . نحن مع ممرضاتنا ..

اينشتين : لن نخرج من المصحة الا اذا سرنا معا .

موبيوس : أنا لا أريد أن أهرب أبدا .

اينشتين : يا موبيوس ..

موبيوس : لا أجد لهذا أى داع ، بل بالعكس . انى راض عن مصيرى .

(سكوت)

نيوتن : أما أنا فلست راضيا ، انه وضع حرج ، ألا ترى هذا ؟ مع احترامى لمشاعرك ، ولكنك عبقرية ، والعبقرية ملك مشاع للجميع . لقد تقدمت فى ميادين جديدة لعلم الطبيعة . لكنك لم تستأجر العلم . ان من واجبك أن تفتح أبوابه لنا نحن غير العباقرة . تعال معى ، وبعد سنة نلبسك حلة « فراك » ، ونحملك الى استوكهلم وهناك تحصل على جائزة نوبل .

موبيوس : ان ادارة مخابراتك السرية ليست أنانية .

نيوتن : انى أسلم يا موبيوس أنها تأثرت أولا وقبل كل شىء بدعوى أنك حللت مشكلة الجاذبية .

موبيوس : هذا صحيح .

(سكوت)

اينشتين : أنت تقول هذا وأنت مستريح الضمير ؟
موبيوس : وكيف تريدنى اذن أن أقوله ؟
اينشتين : ان مخابراتى السرية اعتقدت أنك اكتشفت النظرية الموحدة للجزيئات العنصرية ..
موبيوس : وادارة مخابراتك السرية أيضا أستطيع أن أطمئنها . لقد اكتشفت نظرية المجال الموحدة .

(نيوتن يمسح بالفوطة العرق عن جبينه)

نيوتن : الصيغة الكلية ؟
اينشتين : مضحك . لقد حاولت جموع من علماء الطبيعة ذوى المرتبات الضخمة فى معامل الدولة الهائلة منذ سنوات أن يتقدموا بعلم الطبيعة ، ولكن عبثا ، وهاأنت ذا تحل المشكلة بطريقة عابرة فى مستشفى الأمراض العقلية وأنت جالس الى مكتبك !

(يمسح بالفوطة العرق عن جبينه)

نيوتن : ونظام الاختراعات الممكنة كلها ، يا موبيوس ؟
موبيوس : هذا موجود أيضا . لقد وضعته عن حب استطلاع ، كخلاصة عملية لأعمالى النظرية . هل لى أن أمثل دور البرىء ؟ ان ما نفكر فيه له

تتائجه . لقد كان من واجبى أن أدرس الآثار المترتبة على نظريتى فى المجال ونظريتى فى الجاذبية . والنتيجة كانت مدمرة ؛ فقد أمكن اطلاق طاقات جديدة لا تتصور ، وصناعة فنية جديدة ، تتجاوز كل ما يمثله الخيال ، لو أن أبحاثى وقعت فى أيدى الناس .

اينشتين : هذا أمر لا يكاد من الممكن تجنبه .

نيوتن : المسألة هى فقط من هو أول من ابتكرها .

(موبيوس يضحك)

موبيوس : أنت تتمنى السعادة لادارة مخابراتك السرية يا كيلتون ، ولأركان الحرب التى وراءها ؟

نيوتن : ولم لا ؟ ان كل أركان حرب عندى مقدسة اذا استطاعت أن ترد أكبر عالم فى الطبيعة فى كل العصور الى جماعة علماء الطبيعة . الأمر يتعلق بحرية العلم ولا شىء أكثر من هذا . فمن يضمن هذه الحرية هو عندى سواء . انى أخدم كل نظام يتركنى وشأنى فى هدوء . أنا أعلم أن الناس يتحدثون اليوم عن مسئولية علماء الطبيعة . وقد كان علينا أن نحسب حساب الفزع الناشىء عن

أبحاثنا لو قصدنا الى جانب الأخلاق . ولكن هذا حمق وجهالة . ان على عاتقنا واجب القيام بأعمال انشائية رائدة ، ولا شيء أكثر من هذا . فهل تحسن الانسانية السير فى السبيل الذى اخططناه ؟ — هذا من شأنها ، وليس من شأننا نحن .

اينشتين : مُسَلَّم . ان علينا القيام بأعمال انشائية رائدة . هذا رأيى أيضا . ومع ذلك فلا يحق لنا أن نضع المسئولية بين قوسين . اننا نهيىء للانسانية وسائل هائلة للقوة والسيطرة . وهذا يعطينا الحق فى أن نضع شروطا . يجب أن نصبح سياسيين ذوى سلطان ونفوذ ، لأننا علماء طبيعة . ويجب أن نقرر نحن لمصلحة من ينبغى استخدام علمنا ، وأنا من ناحيتى قد اتخذت قرارا . أما أنت ياكيلتون ، فأنت مُفْتَتَن بائس . لماذا لا تأتى الينا اذن ، ما دام لا يهمك الا حرية العلم ؟ اننا منذ زمن طويل لا نقبل فرض وصاية على علماء الطبيعة . ونحن أيضا نريد نتائج . ونظامنا السياسى لابد له أن يلتهم العلم التهاما فوريا .

نيوتن : ان نظامينا السياسيين يا أيسلر لابد لهما أولا آن يلتهما موبيوس فورا أولا وقبل كل شيء .

اينشتين : بالعكس . لابد له أن يطيعنا . اننا أخيرا نمسك به رهينة بين أيدينا .

نيوتن : صحيح ؟ اننا كلينا نمسك بأنفسنا رهائن . ومخابراتنا السرية وصلت مع الأسف الى نفس الفكرة . ولكن لا نفعل بعد شيئا مقدما . ولنتأمل فى الموقف المستحيل الذى وقعنا فيه . لو ذهب موبيوس عندكم فلن أستطيع أن أفعل شيئا لمنعه، لأنك ستحول بينى وبين ذلك . وكذلك لن تستطيع أنت شيئا ، اذا قرر موبيوس أن ينضم الينا . ان الأمر بيده يختار ما يشاء ، لا بيدنا نحن .

(اينشتين ينهض بجلال)

اينشتين : فلنحضر المسدسات .

(نيوتن ينهض أيضا)

نيوتن : فلنتحارب .

(نيوتن يحضر كلا المسدسين من خلف شبكة المدخنة الحديدية ، ويعطى لاينشتين سلاحه)

اينشتين : يؤسفنى أن تنتهى هذه المسألة نهاية دامية . لكن لابد لنا أن نطلق الرصاص : كل منا على الآخر، وعلى الحراس . وعند اللزوم أيضا على موبيوس. ربما كان هو أهم انسان فى الدنيا ، ولكن مخطوطاته أهم .

موبيوس : مخطوطاتى ؟ لقد أحرقتها .

(سكون رهيب)

اينشتين : أحرقتها ؟

موبيوس : (يائسا) نعم ، منذ لحظات ، قبل أن تأتى الشرطة ، حتى أكون فى أمان .

(اينشتين يضحك ضحكا يائسا)

اينشتين : أحرقتها ؟

(نيوتن يصرخ مزمجرا)

نيوتن : عمل خمس عشرة سنة ؟

اينشتين : هذا جنون .

نيوتن : نحن رسميا كذلك .

(يعيدان المسدسين الى مكانهما ويجلسان على الأريكة فى يأس تام)

اينشتين : أمن أجل هذا سلمنا لك نهائيا يا موبيوس !

نيوتن : هل من أجل هذا اضطررتُ الى خنق ممرضة وتعلم اللغة الألمانية !

اينشتين : وحملت أنا على العزف على الكمان ، وهو عذاب بالنسبة الى رجل ليست لديه أية نزعة موسيقية !

موبيوس : ألا نستمر فى الطعام ؟

نيوتن : لقد ضاعت شهيتى .

اينشتين : يا لخسارة اللحم بطريقة الخيط الأزرق .

(موبيوس يقف)

موبيوس : نحن الثلاثة علماء طبيعة . والقرار الذى ينبغى أن نتخذه يجب أن يكون قرارا خليقا بعلماء طبيعة . يجب أن نسلك مسلك العلم . فلا نتأثر بالآراء ، بل نستند الى الاستدلالات المنطقية . يجب أن نبحث عما هو مطابق للعقل . ولا يحق لنا أن نرتكب غلطا ، لأن الخطأ فى الاستنتاج يؤدى حتما الى كارثة . ان نقطة البداية واضحة . ونحن الثلاثة لنا هدف واحد ، لكن طرائقنا مختلفة . والهدف هو تقدم علم الطبيعة . وأنت يا كيلتون تريد أن تضمن له الحرية ، وأن تزيل عنه المسئولية . وأما أنت يا أيسلر فعلى العكس

من ذلك تربط علم الطبيعة — باسم المسئولية — بالقوة السياسية لدولة معينة . فما هو وجه الحق فعلا ؟ لكى أستطيع الفصل فى هذا الأمر ، أحتاج الى مزيد من المعلومات .

نيوتن : ان بعض مشاهير علماء الطبيعة ينتظرونك . والمرتب والرعاية أسمى ما يصبو اليه الانسان ، والمكان خطير ، ولكن الأحوال الجوية ممتازة .

موبيوس : هل هؤلاء العلماء فى الطبيعة أحرار ؟

نيوتن : ياعزيزى موبيوس ! علماء الطبيعة هؤلاء صرحوا بأنهم على استعداد لحل المشاكل العلمية الحاسمة فى الدفاع عن الوطن . ومن هنا يجب أن تفهم ..

موبيوس : أنهم ليسوا أحرارا .

(يتلفت الى اينشتين)

موبيوس : يوسف ايسلر ! انك تعمل للقـوة السياسية وهذا يحتاج الى القوة . فهل لديك القوة ؟

اينشتين : أنت تسىء فهمى يا موبيوس . ان قوتى السياسية تقوم على ما يأتى : أنى تخليت عن قوتى لصالح حـزب .

موبيوس : هل تستطيع أن تسير الحزب وفقا لمسئوليتك ، أو أنت معرض لأن يسيرك الحزب ؟

اينشتين : موبيوس ! هذا مضحك . طبعا يمكننى فقط أن آمل أن يتبع الحزب نصائحى ، ولا شيء أكثر من هذا . وبدون أمل يمكن اتخاذ أى موقف سياسى .

موبيوس : لكن هل علمـــاء الطبيعة عندكم أحـــرار ، على الأقـــل ؟

اينشتين : هم أيضا يعملون للدفاع عن الوطن ..

موبيوس : عجيب ! كلاكما يمتدح نظرية مختلفة عن نظرية الآخر ، لكن الواقع الذى يقدمه كلاكما واحد : سجن . هنا وأفضل مستشفى الأمراض العقلية ، فهنا على الأقل عندى أمان من عـــدم استغلال السياسيين لمواهبى .

اينشتين : لا مفر للانسان من أن يمر ببعض الأخطار .

موبيوس : هناك أخطار لا يحق للانسان أبدا أن يمر بها : ومن هذا النوع فناء الانسانية . ما يفعله العالم بالأسلحة التى يملكها — هذا أمر نعرفه ، أما ماذا سيفعله بتلك التى سأتمكن أنا من اختراعها ،

فلنتصور نحن ذلك . وقد رتبت عملى وفقا لهذا الرأى . كنت فقيرا ، وكانت لى زوجــة وثلاثة أولاد . وفى الجامعة كانت الشهرة ترمقنى ، وفى الصناعة كان المال يراودنى . ولكن كلا الطريقين كان محفوفا بالأخطــار . كان على أن أنشر أعمالى ، وكانت النتيجة ستكون اهدار العــلم وتحطم النظام الاقتصادى . فحملتنى المسئولية على أن أتخذ سبيلا آخر . تخليت عن وظيفتى الجامعية ، وعن الدخول فى ميدان الصــناعة ، وأسلمت أسرتى الى مصيرها . آثرت طاقيــة المجانين ، فادعيت أن الملك سليمان قد تجلى لى ، وهكذا حبسونى فى مستشفى المجانين .

نيوتن : ولكن هذا لم يكن حلا للمشكلة !

موبيوس : لقد اقتضى العقل منى أن أقوم بهذه الخطوة . نحن فى علمنــا قد اصطدمنا بحــدود ما يمكن معرفته . نعرف بعض القوانين المصوغة صياغة دقيقة ، وبعض العلاقات الأساسية بين الظواهر غير المفهومة — هذا كل ما فى الأمر ، والباقى ، وهو ضخم ، يظل سرا لا يستطيع العقل ادراكه .

ولقد بلغنا نهاية طريقنا . بيـد أن الانسانية لم تتقدم بنفس الدرجـة . لقد قدمنا المثـل على النضال ، ولكن أحدا لم يتابعنـا فاصـطدمنا بالفراغ . وأصبح علمنا مروعا ، وبحثنا محفوفا بالأخطار ، ومعارفنا قاتلة . ولم يبق أمامنا معشر علماء الطبيعة غير التسليم أمام الواقع . ولكن الواقع لم يرتفع الى مستوانا ، بل يفنى عندنا ويزول . وعلينا أن نسحب علمنا ، وأنا من ناحيتى قد سحبت علمى . وليس هناك حل آخر غير هذا الحل ، وأنتم أيضا ليس لديكم حل غيره .

اينشتين : ماذا تقصد بقولك هذا ؟

موبيوس : يجب عليكم أن تبقوا معى فى مستشفى المجانين.

نيوتن : نحن ؟

موبيوس : نعم كلاكما .

(سكوت)

نيوتن : يا موبيوس ! انك لا تستطيع مع ذلك أن تطالبنا بأن نظل الى الأبد ..

موبيوس : هل لديكما جهاز ارسال سرى ؟

اينشتين : ثم ماذا ؟

موبيوس : بلغنا من كلفوكما بالمهمة أنكما جننتما : لقد جننت فعلا .

اينشتين : ثم نمضي العمر كله ها هنا ! ان الجواسيس المخفقين لا يصبح لهم بعدُ دجاج .

موبيوس : هذه فرصتى الوحيدة لكى أبقى مجهولا . فى مستشفى المجانين وحده نكون بعد أحرارا . وفى مستشفى المجانين وحده يحق لنا بعدُ التفكير . وفى الحرية تصبح أفكارنا مواد قابلة للانفجار .

نيوتن : لكننا فى نهاية الأمر لسنا مجانين .

موبيوس : لكننا قتلة .

(يحدقان فيه مذهولين)

نيوتن : أحتج !

اينشتين : لم يكن من حقك أن تقول هذا يا موبيوس !

موبيوس : من يقتل يكن قاتلا ، ونحن قتلنا . كل منا كانت لديه مهمة أوردته هذه المصحة . كل منا قتل ممرضته فى سبيل غرض معين : كلاكما من أجل عدم افساد مهمتكما السرية، وأنا لأن الأخت مونيكا كانت تؤمن بى ، كانت تحسبنى عبقرية ، ولم تدرك أن واجب العبقرية اليوم أن تظل مجهولة.

ان القتل أمر فظيع . وأنا قتلت تجنبا لوقوع قتل أشد هولا . والآن أتتما أتيتما . لا أستطيع تجنبكما ، لكن ربما أستطيع اقناعكما ؟ هل يصبح ما ارتكبناه من قتل أمرا عديم المعنى ؟ اما أن نكون قد ضحينا أو قد قتلنا . اما أن نبقى فى مستشفى المجانين أو يصبح العالم كله مستشفى مجانين . اما أن نطفىء أنفسنا فى ذاكرة الناس أو أن تنطفىء الانسانية .

(سكوت)

نيوتن : موبيوس !

موبيوس : كيلتون ؟

نيوتن : هذه المصحة . هؤلاء المرضون المخيفون . هذه الطبيبة الحدباء !

موبيوس : والآن ؟

اينشتين : لقد حبسونا كأننا حيوان متوحش !

موبيوس : نحن فعلا حيوان متوحش ، ولا ينبغى اطلاقنا على الانسانية .

(سكوت)

نيوتن : ألا يوجد حقا مخرج آخر ؟

موبيوس : لا يوجد .

(سكوت)

اينشتين : يا يوهان فلهلم موبيوس ! أنا رجل مهـذب . سأبقى .

(سكوت)

نيوتن : وأنا أيضا سأبقى . الى الأبد .

(سكوت)

موبيوس : أشكر لكم . من أجل الفرصة الضـئيلة التى لا تزال باقية للانسانية فى النجاة .

(يرفع كأسه)

موبيوس : فى صحة ممرضاتنا !

(نهضوا بجلاله)

نيوتن : أشرب على ذكر دوروتيه موزر .

الاثنان الآخران : على ذكر الأخت دوروتيه !

نيوتن : يا دوروتيه ! كان على أن أضحى بك . جازيتك بالموت عن حبك ! والآن أريد أن أبرهن على أنى كنت جديرا بحبك .

اينشتين : أشرب على ذكر ايرينه اشتراوب .

الاثنان الآخران : على ذكر الأخت ايرينه !

اينشتين : يا ايرينه ! كان على أن أضحى بك . وابتغاء مديحك وتقدير تضحيتك ، أريد أن أسلك مسلك العقل .

موبيوس : أشرب على ذكر مونيكا اشتتلر .

الاثنان الآخران : على ذكر الأخت مونيكا .

موبيوس : يا مونيكا ! كان على أن أضحى بك . فليبارك حبك ما انعقد بيننا نحن علماء الطبيعة الثلاثة من صداقة باسمك . امنحينا القوة ، بوصفنا مجانين، على الاحتفاظ بسر علمنا .

(يشربون الأنخاب ، ثم يضعون الكؤوس على المائدة)

نيوتن : فلنحول أنفسنا من جديد الى مجانين . ولنتشبه بشبه نيوتن . ولنعزف على الكمان موسيقى كريسلر وبيتهوفن .

موبيوس : ولندع سليمان حتى يتجلى لنا .

نيوتن : مجنون ، ولكن حكيم .

اينشتين : مسجون ، ولكن حر طليق .

موبيوس : عالم طبيعة ، ولكن برىء .

(الثلاثة يرمق بعضهم بعضا ، ويذهبون الى حجراتهم • المكان خال • من ناحية اليمين يقدم ماك آرثر وموريلو ، وكلاهما يلبس زيا أسود وكاسكيت ويحمل مسدسا • ينظفون المائدة • ماك آرثر يسوق العربة وعليها الأوانى الى الخارج ناحية اليمين ، وموريلو يضع المنضدة المستديرة أمام النافذة عن يمين ، ويضع عليها الكراسى مقلوبة ، كما يحدث عند تنظيف المقاهى • ثم يذهب موريلو الى الخارج من ناحية اليمين • المكان خال مرة أخرى • ثم تقدم من ناحية اليمين الآنسة الدكتورة فون اتساند ، لابسة كعادتها دائما معطف الأطباء ، ومعها سماعة • تتلفت حواليها • وأخيرا يحضر سيفرز لابسا هو الآخر زيا أسود) •

رئيس الممرضين : يا سيدتى الرئيسة !

الآنسة الدكتورة : سيفرز ، الصورة !

(ماك آرثر وموريلو يحملان صورة كبيرة ذات اطار ثقيل ذهبى فيها رسم قائد • سيفرز يرفع الصورة القديمة ، ويضع الجديدة مكانها)

الآنسة الدكتورة : هنا يتجلى الجنرال ليونيداس فون اتساند خيرا

مما كان عند النساء . لا يزال يبــدو رائعــا ، هوديجن القديم هذا ، بالرغم من فظاظته . كان يحب موت الأبطال ، وقد حدث شيء من هــذا القبيل فى هذه المصحة .

(تتأمل صورة أبيها)

الآنسة الدكتورة : وبدلا من هذا يصلح المستشار أن يوضع فى قسم النساء مع صواحب الملايين . ضــعاه موقتا فى الطرقة .

(ماك آرثر وموريلو يخرجان الصورة من ناحية اليمين)

الآنسة الدكتورة : هل حضر المدير العام فريبن هو وأبطاله ؟

رئيس الممرضين : انهم ينتظرون فى الصالون الأخضر . هل أحضر نبيذا جافا وكافيار ؟

الآنسة الدكتورة : لم يحضر الزعماء هنا ليعيشوا عيشة البذخ ، بل ليعملوا .

(تجلس على الأريكة)

الآنسة الدكتورة : أحضر الآن موبيوس يا سيفرز .

رئيس الممرضين : أمرك ، يا رئيستى .

(يذهب الى الحجرة رقم ١ ويفتح الباب)

رئيس الممرضين : موبيوس ، تعال !

(موبيوس يظهر ، وعلى وجهه سيماء التجلى)

موبيوس : ليلة حافلة بالتقوى . عميقة الزرقة ورعة . ليلة الملك القوى . ظله الأبيض ينفصل عن الجدار . وعيونه تضىء .

(سكوت)

الآنسة الدكتورة : يا موبيوس ! بأمر النائب العام يجب ألا أكلمك الا بحضور أحد الحراس .

موبيوس : فاهم ، يا آنستى الدكتورة .

الآنسة الدكتورة : ما على أن أبلغه لك ، يتعلق أيضا بزميليك .

(ماك آرثر وموريلو يعودان)

الآنسة الدكتورة : ماك آرثر ، وموريلو ! أحضرا الآخرين .

(ماك آرثر وموريلو يفتحان بابى الحجرتين رقمى ٢ ، ٣)

موريلوو
ماك آرثر : تعالوا !

(نيوتن واينشتين يحضران ، وهما أيضا على وجهيهما سيماء التجلى)

نيوتن : ليلة حافلة بالأسرار . سامية ليس لها نهاية . ومن

خلال حديد نافذتي يلمع المشترى وزحل ويوحيان بقوانين الكل .

اينشتين : ليلة حافلة بالسعادة . طيبة تبعث السلوى . الألغاز صامتة ، والمسائل خرساء . أود أن أعزف على الكمان عزفا ليس له نهاية .

الآنسة الدكتورة : ألك يسبر كيلتون ويوسف أيسلر — لى كلام معكما .

(كلاهما يحدق فيها بعجب)

نيوتن : أنتما تعرفان ؟

(كلاهما يريد أن يسحب مسدسه ، لكن موريلو وماك آرثر يجردانهما من سلاحيهما)

الآنسة الدكتورة : حديثكم ياسادة قد سمع ، ومنذ وقت طويل وقد انتابني الشك والارتياب فيكم . أحضرا جهازى الارسال السرى الخاصين بكيلتون وأيسلر ، يا ماك آرثر ويا موريلو .

رئيس الممرضين : ضعوا أيديكم وراء أقفيتكم ، ثلاثتكم !

(موبيوس واينشتين ونيوتن يضعون أيديهم وراء أقفيتهم ، وماك آرثر وموريلو يذهبان الى الحجرتين رقمى ٢ ، ٣)

نيوتن : مهزلة !

(يضحك ، وحده ، عليه سيما الشبح)

اينشتين : لا أدرى ..

نيوتن : مسخرة !

(يضحك مرة أخرى . صامت . ماك آرثر وموريلو يعودان ومعهما جهازا الارسال السرى)

رئيس الممرضين : أنزلوا أيديكم !

(علماء الطبيعة الثلاثة هؤلاء يطيعون أمره . سكوت)

الانسة الدكتورة : الكشافات يا سيفرز .

رئيس الممرضين : حاضر ، يارئيستى .

(يرفع اليد . من خارج تلقى الكشافات بعلماء الطبيعة فى ضوء باهر يعشى العيون . وفى نفس الوقت أطفأ سيفرز النور فى الداخل)

الانسة الدكتورة : الفلا محاطة بالحراس . ولهذا فان محاولة الهرب غير مجدية .

(مخاطبة الممرضين :)

الآنسة الدكتورة : اخرجوا ثلاثتكم !

(المرضون الثلاثة يغادرون المكان حاملين الأسلحة والأجهزة الى الخارج • سكوت)

الآنسة الدكتورة : والآن عليكم أن تعرفوا سرى ، أنتم وحدكم من دون سائر النـــاس ، لأنه لن يحـــدث شيء اذا عرفتموه .

(سكوت)

الآنسة الدكتورة . (بلهجة جليلة رسمية) أنا أيضا تجلى لى الملك الذهبى سليمان ..

(الثلاثة يحدقون فيها مدهوشين)

موبيوس : سليمان ؟

الآنسة الدكتورة : كل سنة .

(نيوتن يضحك ضحكة هامسة)

الآنسة الدكتورة : (بكل ثقة وتوكيد) تجلى لى أولا فى مكتبى ، فى مساء يوم من أيام الصيف ، وكانت الشمس لا تزال تضيء وفى الحديقة كان العصفور النقار ينقر ، وفجأة رنق الملك الذهبى كأنه ملاك هائل.

اينشتين : لقد جننت .

الآنسة الدكتورة : لقد تبينت الحقيقة . لقد بعث سليمان من بين

الموتى . كشف عن حكمته حتى يحكم موبيوس باسمه على الأرض .

اينشتين : ان مكانها أصبح مستشفى المجانين ، لابد من حبسها .

الآنسة الدكتورة : لكن موبيوس خان الملك الذهبى . خاف . لم يفصح عما أدرك وعانى ، وصار وضيعا . لأن ما أوحى به اليه الملك الذهبى لم يكن سرا ، لأنه شيء يمكن التفكير فيه ، وكل ما يمكن التفكير فيه سيفكر يوما فيه : الآن أو فى المستقبل . بيد أن الملك الذهبى لم يشأ أن يفكر فى ذلك أحد آخر غيره ، بل يكون عمله هـذا وسـيلة الى سيطرته المقدسة على العالم ولهذا بحث عنى أنا عبدته وخادمته .

اينشتين : (بقوة وحرارة) أنت مجنونة . اسمعى ، أنت مجنونة .

الآنسة الدكتورة : لقـد لبيت أمره . كنت طبيبة وموبيـوس من مرضاى . كان فى وسعى أن أفعل به ما أشاء . كنت أخدره طوال سنوات باستمرار ، وأخذت

صورة شمسية من كتابات الملك الذهبى الى أن
حصلت على الصفحات الأخيرة أيضا .

نيوتن : أنت مخبولة ! خبلا تاما ! افهمى نهائيا ! (هامسا)
نحن جميعا مخبولون .

الآنسة الدكتورة : كنت أؤدى واجبى فى صمت . شيدت أبنية
هائلة ، وأقمت مصانع الواحد تلو الآخر ، وبنيت
اتحاد مصانع هائلا . سأستغل نظام الاختراعات
الممكنة كلها ، يا يوهان فلهلم موبيوس .

موبيوس : (بقوة وحرارة) يا آنستى الدكتورة ماتيلده
فون اتساند : أنت أيضا مريضة . سليمان ليس
حقيقيا . انه لم يتجل لى أبدا .

الآنسة الدكتورة : أنت تكذب .

موبيوس : لقد اخترعته لغرض واحد هو أن أحتفظ
باكتشافاتى سرا .

الآنسة الدكتورة : انك تنكره .

موبيوس : تعقلى . افهمى أنك مجنونة .

الآنسة الدكتورة : لست مجنونة كما أنك أيضا لست مجنونا .

موبيوس : اذن لابد لى أن أصرخ بالحقيقة فى وجه العالم .
لقد استغللتنى طوال هذه السنوات كلها . بغير

حياء ولا خجل . وحتى زوجتى المسكينة جعلتها تدفع .

الآنسة الدكتورة : أنت عديم الحول والطول يا موبيوس . حتى لو نفذ صوتك فى العالم ، فلن يصدقك انسان. لأنك فى نظر الناس لست الا مجنونا خطيرا ، بجناية القتل التى ارتكبتها .

(الثلاثة يدركون الحقيقة)

موبيوس : مونيكا ؟

اينشتين : ايرينه ؟

نيوتن : دوروتيه ؟

الآنسة الدكتورة : لقد لاحت لى فرصة . ان علم سليمان يجب صيانته وينبغى معاقبتكم على خيانتكم له . كان على أن أجعلكم غير قادرين على الايذاء ، وذلك عن طريق جنايات القتل التى ارتكبتموها . هيجت عليكم الممرضات الثلاث . وقدرت أنكم ستقدمون على عمل . كنتم خاضعين للتأثير كأنكم آلات وقتلتم كسفاحين .

(موبيوس يريد أن ينقض عليها ، ولكن اينشتين يمنعه)

الآنسة الدكتورة: لا جدوى من الانقضاض على يا موبيوس ؛ كما أنه لم يكن ثم جدوى من احراق المخطوطات ، لأنها كانت عندى مصورة .

(موبيوس يشيح بوجهه)

الآنسة الدكتورة: ان ما يحيط بكم ليس بعد جدران مصحة . فان هذا البيت هو كنز اتحاد مصانعى . انه يشتمل على ثلاثة علماء فى الطبيعة ، هم وحدهم الذين يعرفون الحقيقة ، هم وأنا فقط . ان من يمسكون بكم ليسنوا حراس مجانين : فسيفرز هو رئيس شرطة أعمالى . لقد هربتم الى سجنكم أنتم . وسليمان فكر من خلالكم ، وعمل بواسطتكم ، والآن سيقضى عليكم ، بواسطتى أنا .

(سكوت)

الآنسة الدكتورة: ولكنى تسلمت منه السلطة . أنا لا أخاف . ومصحتى حافلة بالأقارب المجانين ، مزينة بذوق ونظام . أنا آخر فرع سوى فى أسرتى . النهاية . عقيمة ، لكن قادرة على حب الناس . هنالك تولانى سليمان برحمته . اختارنى أنا ، وعنده ألف زوجة . ولهذا سأكون الآن أقوى من آبائى.

واتحاد مصانعى سيسنيطر ، وسيغزو دولا بل
وقارات ، ويستغل المجموعة الشمسية ، ويسافر
الى سديم المرأة المسلسلة فى السماء . وقد تم
تقدير الحساب : لا لمصلحة العالم ، ولكن لمصلحة
عذراء عجوز حدباء .

(تقرع ناقوسا صغيرا • عن يمين يقـــدم
رئيس الممرضين)

رئيس الممرضين : رئيستى !

الآنسة الدكتورة : فلنذهب يا ســيڤرز . مجلس الادارة ينتظــر .
مؤسسة العالم تبدأ ، والانتاج يتدفق .

(تخرج مع رئيس الممرضين • علمـــاء
الطبيعة الثلاثة وحدهم • سكوت • انتهى
كل شىء • سكوت)

نيوتن : قضى الأمر .

(يجلس على الأريكة)

اينشتين : لقد وقع العالم فى أيدى طبيبــة أمراض عقليــة
مجنونة .

(يجلس الى جوار نيوتن)

موبيوس : ما فكر فيه مرة لا يمكن سحبه أبدا .

(موبيوس يجلس على الكرسى الذى عن يسار الأريكة . سكوت . يحدقون أمامهم بعيدا . ثم يتحدثون بكل هدوء ، ويقدمون أنفسهم للجمهور)

نيوتن : أنا نيوتن . سير اسحق نيوتن . المولود فى ٤ يناير سنة ١٦٤٣ فى ولز ثورب بالقرب من جرانثام . أنا رئيس الجمعية الملكية ، لكن هذا لا يرفع الشأن . ألّفتُ : أسس العلم الرياضية . ومن أقوالى : لا أتخيل فروضا . وفى علم البصريات التجريبى ، وفى الميكانيكا النظرية وفى الرياضيات العالية قمت بأعمال ليست عديمة الأهمية ، لكننى تركت مسألة البحث عن جوهر الثقل مفتوحة . وألفت أيضا كتبا فى اللاهوت : ملاحظات على سفر النبى دانيال وعلى سفر الرؤيا ليوحنا . أنا نيوتن . سير اسحق نيوتن . أنا رئيس الجمعية الملكية .

(ينهض ويذهب الى حجرته)

اينشتين : أنا اينشتين . الأستاذ ألبرت اينشتين . المولود فى

١٤ مارس سنة ١٨٧٩ فى مدينة أولم . فى سنة ١٩٠٢ كنت خبيرا فى مكتب تسجيل الاختراعات فى برن . وهنالك وضعت نظرية النسبية الخاصة ، التى غيرت علم الطبيعة . ثم أصبحت عضوا فى الأكاديمية البروسية للعلوم . وبعد ذلك بزمان أصبحت مهاجرا ، لأنى يهودى. وأنا الذى وضعت هذه المعادلة : الطاقة = كتلة المادة المتحولة × مربع سرعة الضوء ، وهذه المعادلة كانت المفتاح لتحويل المادة الى طاقة . أنا أحب الانسانية ، وأحب كمانى ، لكن بناء على اشارتى صنعوا القنبلة الذرية . أنا اينشتين . الأستاذ ألبرت اينشتين . المولود فى ١٤ مارس سنة ١٨٧٩ فى مدينة أولم .

(ينهض ويذهب الى حجرته . ثم يسمع وهو يعزف على الكمان . موسيقى كريسلر. أغنية حب) .

موبيوس : أنا سليمان . أنا الملك المسكين سليمان . كنت ذات يوم غنيا غنى لا حد له ، وحكيما وأخشى الله . من سلطانى ارتعد الأقوياء . كنت أمير

السلام والعدل . لكن حكمتى قضت على تقواى ، فلما أصبحت لا أتقى الله ، قضت حكمتى على ثروتى . والآن صارت المدن التى كنت أحكمها ميتة ، ومملكتى خاوية ، مملكتى التى عهد الى بها صارت قفرة تلتمع زرقة ، وفى مكان ما ، حول نجم صغير أصفر عديم الاسم ، تدور الأرض ذات النشاط الاشعاعى ، تدور دائما بلا جدوى . أنا سليمان ، أنا سليمان ، أنا الملك المسكين سليمان .

« يذهب الى حجرته . والآن صار الصالون خاليا . ولم يعد يسمع غير عزف كمان اينشتين » .

النهاية

٢١ نقطة تتعلق بمسرحية «علماء الطبيعة»

١ ـ لا أبدأ من قضية ، بل من حكاية •

٢ ـ اذا بدأ المرء من حكاية ، فيجب أن يفكر فيها حتى النهاية.

٣ ـ والحكاية يفكر فيها حتى النهاية ، اذا اتخذت أسوأ اتجاه يمكنها اتخاذه •

٤ ـ وأسوأ اتجاه ممكن ليس من المستطاع تقديره مقدما ، انه يأتى مصادفة •

٥ ـ وفن المؤلف المسرحى يقوم فى جعل الصدفة تعمل أوفر عمل ممكن •

٦ ـ حملة الفعل المسرحى هم ناس •

٧ ـ والصدفة فى الفعل المسرحي تقوم فى متى وأين ومن يلقى امرءا ما مصادفة •

٨ ـ كلما كان سلوك الناس وفقا لخطة ، كانت قدرتهم على ملاقاة الصدفة أشد فعلا •

٩ ـ والناس الذين يسلكون وفقا لخطة يريدون الوصول الى هدف معين • هنالك تلاقيهم الصدفة فى أسوأ الأحوال اذا وصلوا عن طريقها الى عكس الهدف الذى استهدفوه : أعنى ما كانوا يخشونه،وما حاولوا تفاديه (أوديفوس مثلا).

١٠ ـ وحكاية كهذه تكون عجيبة ، لكنها لاتكون غير معقولة (منافية للعقل) •

١١ ـ انها تتصف بالمفارقة •

١٢ ــ والمؤلفون المسرحيون ، كالمناطقة ، لايمكنهم تجنب المفارقات ٠

١٣ ــ علماء الطبيعة كالمناطقة ، لايمكنهم تجنب المفارقات ٠

١٤ ــ ومسرحية عن علماء الطبيعة لابد أن تتصف بالمفارقة ٠

١٥ ــ وهدفها لايمكن أن يكون مضمون علم الطبيعة ، بل الآثار المترتبة عليه فحسب ٠

١٦ ــ فمضمون علم الطبيعة يهم علماء الطبيعة ، أما آثاره فتهم الناس جميعا ٠

١٧ ــ وما يهم الناس جميعا ، لايحله الا الناس جميعا ٠

١٨ ــ كل محاولة من جانب فرد واحد لحل مايهم الناس جميعا لابد أن تخفق ٠

١٩ ــ الحقيقة الواقعية تتجلى فى المفارقات ٠

٢٠ ــ من يواجه المفارقات يعترض الحقيقة الواقعية ٠

٢١ ــ والفن المسرحي يمكنه أن يخدع المشاهد فيوهمه أنه يعترض الحقيقة الواقعية ، ولكنه لايستطيع أن يرغمه على مقاومتها أو قهرها ٠

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٣٨ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	ــ الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	ــ أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	ــ سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	ــ مروحة ليدى وندرمير	أوسكار وايلد
٥	ــ بنيلوبى	سمرست موم
٦	ــ الغربان	هنرى بك
٧	ــ اليكترا	جان جيرودو
٨	ــ توركاريه	ا . ر . لوساج
٩	ــ الدائرة	سمرست موم
١٠	ــ شاترتون	ألفرد ديفينى
١١	ــ الأم	كارل تشابك
١٢	ــ اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣	ــ لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ــ ست شخصيات تبحث عن مؤلف .	لويجى بيراندللو
١٥	ــ عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	ــ عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	ــ رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	ــ هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	ــ سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	ــ كنوك	جول رومان
٢١	ــ جونو والطاووس	شين أوكاسى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا آلبا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن براموسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ما تعرفه كل امرأة	جيمس بارى
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	أوسكار وايلد
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برنارد شو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر ونج بينيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ابسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمان
٣٧	سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج مؤسسة الخانجى بالقاهرة
ويطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار القلم للملايين ببيروت .